الإمام أبو المعارف أحمد بن عبد المنعم الدَّمَنْهُوريُ
ومنهجه في تفسيره المسمى
(الفيض العميم في معنى القرآن العظيم)

إعداد الدكتور
محمد إبراهيم حامد إبراهيم
وكيل مديرية أوقاف الشرقية للدعوة والبر

الإمام أبو المعارف أحمد بن عبد المنعم الدَّمَنْهُوريُّ
ومنهجه في تفسيره
المسمى(الفيض العميم في معنى القرآن العظيم)

محمد إبراهيم حامد إبراهيم
مديرعام الدعوة بأوقاف الشرقية – محافظة الشرقية – الزقازيق – مصر .
البريد الألكتروني:abuhamed4@yahoo.co

ملخص البحث

يهدف البحث إلى الحديث عن منهج علم من أعلام الأزهر الشريف ، هذه المؤسسة العريقة التي حملت على أكتافها أعباء الدعوة والرسالة والعلم منذ النشأة وحتى يومنا هذا ، تربع على كرسي المشيخة في عصره بلا منازع بما تحصل لديه من علوم ومعارف وفتوحات كانت سببًا لما نال من هذا الشريف العظيم ، هو الإمام العلامة الفهامة الشيخ أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري الأزهري الأشعري المذاهبي ، الشيخ العاشر من مشايخ الأزهر الشريف ، الذي فتح الله عز وجل له فوضع مؤلفات جليلة تخدم كتاب الله ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بين هذا التراث العلمي لشيخنا تفسيره الجليل المسمى (الفيض العميم في معنى القرآن العظيم) ، وهو كتاب طيب في مادته وموضوعه ، تناول فيه تفسير قصار السور من أول سورة (الضحى) حتى ختام سورة (الناس) تفسيرا تحليليا ، أهتم فيه بذكر ما يتعلق بمدنية كل سورة أو مكيتها ، وعدد آياتها ، ومقاصدها ، والتناسب بينها وبين السورة السابقة لها ، كما اهتم بالجوانب العلمية نظرا لثقافته المتنوعة في مجالات شتى، كما أبرزنا تواضعه مع العلماء ، وقمنا بتدعيم البحث بالنماذج من خلال تفسير الإمام الدمنهوري رحمه الله.

الكلمات المفتاحية: الدمنهوري – منهج – التفسير بالمأثور – الأحاديث الثابتة – القضايا العلمية – علم التناسب – الإسرائيليات.

Praise be to God, Lord of the Worlds, and blessings and peace be upon the most honorable messengers, our master Muhammad, his family, companions, and those who followed them with kindness until the Day of Judgment.

MOHAMED EBRAHIM HAMED EBRAHIM.

The General Director of Daawa in Awqaf – el Sharqia – Governerate – Egypt .

E;MAIL : . abuhamed4@yahoo.com

Abctract

The research that we have is a study on the methodology of one from the most noble Al-Azhar figures, this ancient institution that carried on its shoulders the burdens of advocacy, message and knowledge from its inception to the present day, and this noble scholar sat on the chair of Al Mashiakha in his era with no doubt, for knowledge he has got. He is the noble scholar Ahmed bin Abdulmone'm bib youssof bin Siam Al- azhari Al-damanhory; the tenth Sheikh of Al- Azhar who wrote Great books that serve the Book of Allah and the Sunnah of His Prophet, may Allah bless him and grant him peace. Among this great scientific heritage is his great book (Al-fayd Al-ameem in the meanings of the noble Qur'an) ,and it is a good book in its material and subject. He explained from the beginning of Surat Al-Duha until Surat Al-Nas an analytical explanation, focusing on the Madani or Macci Sura, the number of verses, its purposes and the proportion between the surah and the one before it. And he interested in

the scientific aspects due to his diverse culture in various fields, in addition to mentioning his modesty with scholars and I also supported the research with examples from the exegesis of Imam Damanhuri, may Allah have mercy on him.

Keywords:AL-Damanhoury – Approach – Interetation by Tradition – Fixed - Hadiths – Scientific Issues – Science of Proportionality – Israelites .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، أنزل خير كتبه على خير خلقه صلى الله عليه وسلم، ليكون دستورا ، ومنهجا لخير الأمم ، هاديا لها للتي هي أقوم ، قال صلى الله عليه وسلم {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} (١).

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، اللهم صل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه {... الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ* أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }(٢)

أما بعد

فإن القرآن الكريم هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والشفاء النافع من كل داء ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ من استنار بأنواره ، ولا يستعتب من نفذ أحكامه ، ولا يعوج من سار على نهجه ، ولا يشقى من سعد به قارئا ، ومتأملا ، ومتدبرا ، ولا يضل من اهتدى بهداه ، ولا يطمع من اقتنع بمواعظه ، ولا يظلم من حكم بأحكامه ، أخرج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن ظلمات الجاهلية إلى أنوار

(١)الإسراء: ٩
(٢)الأنفال: ٢-٤.

الإسلام بسماحته، ورحمته ، التي لم ولن تشهد الدنيا لتعاليم الإسلام المستمدة من عطايا القرآن ، وسنة النبي الكريم العدنان صلى الله عليه وسلم مثيلا.

من أجل هذا وغيره اهتم المسلمون الأول بالقرآن الكريم ، فشغلهم القرآن الكريم، وتملك وجدانهم ، واستحوذ على أفكارهم، فقرؤوه، واستمعوا إليه ، واستمتعوا به، فما لبثوا إلا حفظوه لحلاوة منطقه ، وبلاغة أسلوبه ، فملء القرآن الكريم قلوبهم، فجلاًها، فانعكس ما في قلوبهم على تصرفاتهم ، وأحوالهم ، فحكموا بحكمه، واهتدوا بهديه ، فسادوا الدنيا ، وفتح الله صلى الله عليه وسلم ببركة القرآن على الكثير منهم ، فوجدنا منهم حكاما مقسطين ، وعلماء عاملين ، ومفسرين متمكنين، وفقهاء مجتهدين ، ومؤرخين صادقين ، ومحدثين مدققين ، ومربيين مخلصين.

وكان أول من اهتم بالقرآن الكريم هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي تلقى القرآن الكريم على قلبه الشريف الكامل الطاهر ، فانعكست أنوار القرآن الكريم عليه صلى الله عليه وسلم في حركاته وسكناته ، في حله وترحاله ، في مطعمه ومشربه وملبسه ، في تعاملاته مع آل بيته أزواجه وأبنائه وأحفاده وخدمه ، في حسن صلته برحمه وجيرانه ، وبالجملة جمعت فأوعت أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة رضوان الله عليها حالة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القرآن وتأثره به في جملة واحدة فقالت: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ[1].

وكان البيان النبوي للقرآن الكريم يمتاز بالفصاحة والبلاغة ، ويبين ما تحتاج إليه الأمة بيانا إجماليا أحيانا وتفصيليا أحيانا أخرى طبقا لمقتضى الحال.

وظل هذا البيان النبوي الشريف لكتاب الله عز وجل ينتقل نوره من جيل إلى جيل، ومن عصر إلى عصر كل يقتبس من أنوار القرآن الكريم على قدره ، ويغترف من محيط أسراره ، وكنوز معرفته وحكمه ، ولطائف إشاراته ، وحلاوة

(١) أخرجه أحمد في المسند٦/٩١/٢٤٦٤٥، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/١٥٤/١٤٢٨.

عباراته ، كيف لا وهو كتاب لا تنتهي عجائبه؟ ولا ينضب معينه ؟ فعطاؤه متجدد ، وبه ختمت مشكاة الأنوار مشكاة النبوة ، فهو هدية الخالق لخلقه ، وهبة الوهاب لخير نبي صلى الله عليه وسلم ليكون منهج حياة لأسعد أمة ، وكان يحمل هذا العلم . علم التفسير . بأدواته وعلومه من كل خلف عدوله وثقاته.

والكتاب الذي من الله به علينا بين أيدينا لعلم من أعلام الأزهر الشريف ، هذه المؤسسة العريقة التي حملت على أكتافها أعباء الدعوة والرسالة والعلم منذ النشأة وحتى يومنا هذا ، تربع على كرسي المشيخة في عصره بلا منازع بما تحصل لديه من علوم ومعارف وفتوحات كانت سببا لما نال من هذا الشريف العظيم ، هو الإمام العلامة الفهامة الشيخ أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري الأزهري الأشعري المذاهبي[1] ، الشيخ العاشر من مشايخ الأزهر الشريف ، الذي فتح الله عز وجل له فوضع مؤلفات جليلة تخدم كتاب الله ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بين هذا التراث العلمي لشيخنا تفسيره الجليل المسمى **(الفيض العميم في معنى القرآن العظيم)** ، والذي سنعيش في رحاب منهجه في هذه الدراسة الموجزة ، ونسأل الله العون والسداد والتوفيق والفلاح ، والوفاء بحق مشايخنا رضوان الله عليه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) لأنه رحمه الله أتقن المذاهب الأربعة وكان يفتي بها جميعا ، ولم يتقيد بمذهب واحد كحال الكثير من علماء عصره والعصور اللاحقة.

المبحث الأول

التعريف بالإمام الدمنهوري رحمه الله

نسبه ونشأته: هو الإمام العلّامة، شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر: أبو المعارف وأبو العباس، شهاب الدين أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدَّمَنْهُوريُّ، الأزهري، المذاهبي [1]، شخصية متميزة من أعلام الأزهر الشريف، ومثالٌ للعالم النابه في شتى المجالات دينية كانت أو دنيوية.

ولد سنة ١١٠١هـ بدمنهور الغربية، وقدم الأزهر وهو صغير يتيم، ولم يكفله أحد، فاتجه إلى العلم وتحصيله بكل ما أوتي من قوة، حفظ القرآن الكريم، وبدأ بدراسة الفقه الشافعي واللغة والأصول ، ثم تدرج بعد ذلك في تحصيل سائر علوم الآلة وغيرها على عدد من العلماء ، وكانت له همة عجيبة في الإلمام بمدارك الفقهاء المختلفة في فهم النصوص الشرعية، دفعته إلى دراسة المذاهب الفقهية الأربعة، ولإتقانه وبراعته في الإفتاء على المذاهب الأربعة لُقِّبَ بالمذاهبي. ولم يكن العلّامة الدمنهوري مقتصرًا في ملازمته لهؤلاء الفقهاء على دراسة الفقه فقط؛ بل تعلم علوم: النحو والصرف والبلاغة، والوضع، والقراءات، والتجويد، والحديث وعلومه، والسِيَر والتاريخ، والتصوف، والمنطق، والتوحيد، والفرائض، والعَروض، وآداب البحث، إلى غير ذلك من أنواع العلوم التي درَسها وبرع فيها، ولقد سجَّل

(١) انظر ترجمته في : عجائب الآثار للجبرتي ١٦٩،١٧٠/٣، سلك الدرر للمرادي ١١٧/١، فهرس الفهارس للكتاني ٤٠٤/١، الأزهر في ألف عام د/ محمد عبد المنعم خفاجي ٣٤٦/٢، أسانيد المصريين د/ أسامة السيد الأزهري ص ٢٦٣، مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن للشيخ فوزي فاضل ١٣١/١، وترجمة لشيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر أحمد بن عبد المنعم بن يوسف الدمنهوري للباحث يوسف محمد سفاني الأزهري من إصدارات مكتب رسالة الأزهر.

الدمنهوري لنا أسماء عددٍ من شيوخه، وكذلك أسماء الكتب التي قرأها عليهم في ثبته المخطوط المسمى بـ «اللطائف النُّورية في المِنَح الدمنهورية».

كان وحده أُمَّة في العلم والفضل ورِفْعة المقام، ولما زار مكة المكرمة حاجًّا سنة ١١٧٧هـ، استُقبل أعظم الاستقبال، فأتى حاكم مكة وعلماؤها لاستقباله، فكان الاستقبال كريمًا يليق بمكانة الإمام وشخصه، وحين عودته من الحج إلى مصر، استقبله الناس بنفس الحفاوة التي لقيها في مكة المكرمة، ومدحه الشيخ عبدالله الإدكاوي[1] بقصيدة يهنئه فيها بالعودة، فقال:

لقد سرنا وطاب الوقت وانشرحت صدورنا حيث صح العود للوطن
فأنت أمجدنا، وأنت أرشدنا وأنت أحمدنا في السرِّ والعلن

شيوخه:

والناظر في شيوخ الإمام الدمنهوري وما قرأه عليهم من الكتب يدرك أن شيخنا الإمام كان صاحب نظرة فاحصة في انتقاء من يقرأ عليه من الشيوخ؛ فكان ينتقي المتقنين الراسخين، يتضح هذا في بعض عباراته في «اللطائف النُّورية»، فيقول رحمه الله: (أما الحنابلة فلم أجد من هو في عصره متفنن للمذهب، وهو حقيق بأن

(١)عبد الله بن عبد الله بن سلامة الأدكاوي، الشافعيّ، ويعرف بالمؤذن: متأدب مصري، له شعر. ولد بقرية " أدكو " قرب رشيد، وتعلم وتوفي بالقاهرة. من كتبه " بضاعة الأريب من شعر الغريب - خ " رأيت نسخة منه في مكتبة الليثي بمركز الصف، بمصر وهي ديوان شعره. بخط ولده " أحمد بن عبد الله الأدكاوي " و " الدر الثمين في محاسن التضمين - خ " و " ديوان شعر " رتبه على الحروف، و " الدر المنتظم بالشعر الملتزم - خ " في الظاهرية (رقم ٤٣٩٦) وهو ٢٩ قصيدة على حروف الهجاء، في المدائح النبويّة، التزم خلوّ كل قصيدة من حرف من حروف المعجم، و " إرشاد الغويّ لمعنى اللفظ اللغوي - خ " رسالة بخطه في الرياض و " النزهة الزهية بتضمين الرحبية " نقلها من الفرائض إلى الغزل، و " اللآلي النظيمة من مختارات اليتيمة - خ " في بديريية القدس، انتهى من تأليفه وكتابته سنة ١١٤٥ هـ و " حسن الدعوة للإجابة إلى القهوة - خ " بخطه سنة ١١٧٦ هـ وله " مقامة " في المجون، وغير ذلك ، ينظر في ترجمته:. خطط مبارك ٨: ٥١ وهو فيه " عبد الله بن سلامة " اختصارا. والكتبخانة ٤: ١٣٥ وجولة في دور الكتب الأميركية ٧٤ وشعر الظاهرية ١٠٠ ومخطوطات الدار ١: ٣٠٦ وجامعة الرياض ٢: ٣٨.

يُرغب في الأخذ عنه وإليه يُذهب، سوى فقيه الحنابلة بالديار المصرية، شيخ الحنابلة في وقته بالبقعة الأزهرية، أستاذنا الشيخ أحمد المقدسي). كما أننا بمطالعة ثبته المذكور نلاحظ أنه في قرآءته على أكابر فقهاء عصره كرَّر قراءة العديد من الكتب على غير واحد منهم، وذلك ينبئ عن شدة حرصه على تحصيل دوائر فهوم هؤلاء الأكابر، وارتشاف أكثر من رحيقٍ للكتاب الواحد؛ مما مَكَّنَ له مزيدًا من الرسوخ في العلم والتبحر فيه، وهذه كلها أنواع من الذكاء والحرص العجيبين تستوقف القارئ لسيرة هذا العَلَم ومسيرته في تحصيل دوائر العلوم والفهوم.

ومع هذا النبوغ الذي أحرزه شيخ الإسلام الدمنهوري في التضلع من العلوم النقلية والعقلية، وشهادة العلماء له بذلك، إلا أنه كان من أهل الميول إلى التفنن في سائر العلوم الأخرى بصورة عجيبة؛ فحصَّل العديد من تلك المعارف مع الدقة والإتقان.

فدرس علم الفلك والهيئة، وعلم الإسطرلاب، وعلوم العمل بالكرة، وكيفية أخذ الوقت منها، ودرس أشكال التأسيس في الهندسة، وعلم الفلك والهيئة، وعلم المساحة والحساب والجبر والمقابلة وحساب الأزياج ونتائج والمنحرفات، إلى غير ذلك من الكتب والعلوم والثقافات التي اطلع عليها بصورة شخصية؛ فقد ذكر الدمنهوري في ثبته بعدما سَرَد ما قرأه على شيوخه، أن سَرْدَ ما طالعه بنفسه من التآليف أمرٌ يضيق عنه البيان.

ومعلوم أن كل هذه العلوم كانت تدرس في الأزهر الشريف إلى عصر الإمام الدمنهوري والشيخ الفقيه الفلكي المتفنن الشيخ حسن الجبرتي الكبير؛ بل وإلى عصر الإمام العلّامة المتفنن شيخ الإسلام حسن العطار الذي كان مهتمًا بقضية إنعاش دوائر هذه المعارف مرة أخرى، والعودةِ إلى الاهتمام بالجانب العملي والتطبيقي لهذه العلوم التي آل أمرها إلى الدراسة النظرية في الغالب، والدعوةِ إلى الأخذ بأسباب النهضة من وجوب الابتكار والاختراع. فهذه الطبقة من (الأئمة

المذكورين كانوا من أواخر طبقة العلماء الشرعيين الذين تعي هذه العلوم، وكأن إحاطة علماء الإسلام بتلك العلوم ما زال يتناقص حتى اقتصر على الجانب النظري منه في تلك الطبقة) [(١)].

وهذا التناقص الذي وقع في تحصيل تلك العلوم هو الذي تأسف له الشيخ رفاعة الطهطاوي تلميذ شيخ الإسلام حسن العطار، ودعا للعودة إليه مرة أخرى في كتابه «مناهج الألباب المصرية»؛ لإدراكه أن تحصيل هذه العلوم منهج إسلامي أصيل، وأن فقده يجعل تحقيق النهضة وصلاح البلاد والعباد شبه المستحيل، وأن الأئمة الأزهريين كانوا يُعنَون بتحصيل هذه المعارف إلى وقتٍ قريب، تأسيًا بالأئمة الأقدمين، ثم ذكر العلّامةَ شيخَ الإسلام الدمنهوري نموذجًا للدلالة على أن تلك العلوم لم تَفُتْ شيوخ تلك الأعصار، وكان مما قاله: (لا سيما وأن هذه العلوم الحكمية العملية، التي يظهر الآن أنها أجنبية، هي علوم إسلامية، نقلها الأجانب إلى لغاتهم من الكتب العربية، ولم تزل كتبها إلى الآن في خزائن ملوك الإسلام كالذخيرة، بل لا زال يتشبث بقراءتها ودراستها من أهل أوروبا حكماءُ الأزمنة الأخيرة، فإن من اطلع على سند[(٢)] شيخ الجامع الأزهر الشيخ أحمد الدمنهوري الذي كانت مشيخته قبل شيخ الإسلام أحمد العروسي الكبير، جد شيخ شيوخ الجامع الأزهر الآن السيد المصطفوي العَلَم الشهير، رأى أنه قد أحاط من دوائر هذه العلوم بكثير، وأن له فيها المؤلفات الجمة، وأن تلقيها إلى أيامه كان عند أهل الجامع الأزهر من الأمور المهمة.....فانظر إلى هذا الإمام الذي كان شيخ مشايخ الجامع الأزهر، وكان له في العلوم التطبيقية والرياضية وعلم الهيئة الحظ الأوفر، مما تلقاه عن أشياخه الأعلام، فضلا عن كون أشياخه أزهرية، ولم يفتهم الوقوف على حقائق هذه العلوم المفيدة في الوطنية) (٣).

(١) ينظر: أسانيد المصريين، د/ أسامة السيد الأزهري: ص ٢٧٧.
(٢) يقصد به ثبته المسمى «اللطائف النورية».
(٣) مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية للطهطاوي: ص ٣٧٣.

وقد جدَّ شيخ الإسلام أحمد الدمنهوري فحصَّل كل هذه العلوم وغيرها، حتى صار من النبغاء فيها، وألف في مختلف العلوم الشرعية والتطبيقية الكتب الكثيرة، حتى قال الإمام العلّامة التاودي بن سودة المغربي في «فهرسته»: (قيل إن عدة تآليفه تقرُب من تآليف السيوطي) [١].

وعندما نتأمل عناوين بعض تلك المؤلفات نجد أننا أمام عقلية استوعبت من علوم الدين والدنيا ما أهَّلها إلى الإمامة عن جدارة، وتتضح لنا عن قربٍ صورةُ التكوين الداخلي لعقل هذا الإمام الموسوعي؛ وكيف كان العالم الأزهري يحصل من العلوم ما يجعله جامعًا لأصوله متمكنًا فيها، وكذلك للثقافات والعلوم الأخرى، مما يمكنه من مواكبة العصر واستيعابه؛ ولنستجلي عددًا من المكونات التي كانت مستقرة في عقول علماء الأزهر الشريف مما لا يعرفه الكثير عنهم اليوم[٢].

تراثه العلمي ومؤلفاته:

كان واحدًا من علماء الأزهر الذين عُرفوا بالثقافة الواسعة التي شملت إلى جانب العلوم الشرعية واللغوية الرياضيات والهندسة والفلك والطب، وأسهم بالتأليف في بعضها، وهذه العلوم وإن كانت تدرس على استحياء في ذلك الوقت، فإنها تعني أن هناك من كان يعلمها ويدرسها، وأن جذور هذه العلوم لم تنطفئ منذ أن ازدهرت الحضارة الإسلامية، لكنها ظلت خافتة تنتظر من يبعث فيها الحركة والنشاط. كان غزير التأليف متنوع الإنتاج الفكري، ومعظم إنتاجه لا يزال مخطوطًا حبيسا لم يرَ النور بعد. ونلاحظ في مؤلفاته هذا التوسع الفسيح في مختلف العلوم والفنون ،فهو لا يقتصر على الموضوعات الدينية واللغوية فحسب ،بل يكتب في التشريح والحساب

واستنباط المياه وشؤون المجتمع وسياسة الحكم ..الخ

(١) فهرس الفهارس والأثبات للسيد محمد عبد الحي الكتاني: ٤٠٤/١.
(٢) فهرس الفهارس والأثبات للسيد محمد عبد الحي الكتاني: ٤٠٤/١.

فمما ألفه في علم التوحيد وعلم الكلام:

- تحفة الملوك في عِلمي التوحيد والسلوك.
- وله نظم بعنوان: «درة التوحيد» .
- ووضع عليه شرحًا سماه: «القول المفيد لمعاني درَّة التوحيد».
- وله أيضا كتاب «المنح الوفية في شرح الرياض الخليفية».

وفي علم القراءات والتجويد:

- حسن التعبير عما للحِرز من التكبير.
- غُنية الفقير لما للطَّيِّبة من التكبير، الأولى في القراءات السبع والثانية في العشر.
- وتنوُّر المُقلتين بضياء أوجَه الأوجُه بين السورتين في السبع.
- الكلام السديد في تحرير علم التجويد.
- خلاصة الكلام على وقف حمزة وهشام».

وفي علم التفسير:

- الفيض العميم في معنى القرآن العظيم.
- كشف اللثام عن مخدرات الأفهام في البسملة.
- شفاء الظمآن في شرح أبيات تتعلق بسورة يس، ثم اختصره.

وفي علوم الحديث: «نهاية التعريف بأقسام الحديث الضعيف»، وقد كان الشيخ من أهل الرواية في الحديث، ومن أصحاب الأسانيد العالية.

وفي الفقه:

- طريق الاهتداء بأحكام الإمامة والاقتداء.
- فيض المنان بالضروري من مذهب النعمان.
- الفتح الرباني بمفردات ابن حنبل الشيباني.

وفي علم السلوك والتصوف، والمناقب:

- سبيل الرشاد إلى نفع العباد.

- منع الأثيم الجائر من التمادي في فعل الكبائر.
- حسن الإنابة في إحياء ليلة الإجابة في فضائل ليلة النصف من شعبان.
- تحفة الملوك في علمي التوحيد والسلوك.
- إتحاف المهتدين بمناقب أئمة الدين».

وفي علم المنطق:

- إيضاح المُبهَم من معاني السُّلَّم .
- نظم بعنوان «إتحاف ذي الحاجات.
- وشَرَح نظمَه هذا في كتابه المسمى بـ «حل المشكلات من إتحاف ذي الحاجات».

وفي علم البلاغة:

- حلية اللُّب المَصون بشرح الجوهر المكنون.
- منتهى الإرادات في تحقيق الاستعارات.
- إيضاح المشكلات من متن الاستعارات.
- الحداقة بأنواع العَلاقة».

وفي علم الوضع: «الدقائق الألمعية على الرسالة الوضعية».

و في علم الحروف: «إرشاد الماهر الى كنز الجواهر».

ومما ألفه في علم الطب:

- «القول الصريح في علم التشريح.
- القول الأقرب في علاج لسع العقرب.
- إتحاف البرية بمعرفة الأمور الضرورية.
- العلاج اليسير في علاج المقعدة والبواسير.

وفي علم الجيولوجيا له كتاب: «عين الحياة في استنباط المياه».

وفي علم الهندسة: «عقد الفرائد فيما للمثلث من الفوائد».

وفي علم الكيمياء: «الدرة اليتيمة في الصنعة الكريمة».

وفي علوم السياسة والأخلاق:

- «النفع الغزير في صلاح السلطان والوزير.
- منهج السلوك في نصيحة الملوك».

وفي علم الأرتماطيقى: «إحياء الفؤاد بمعرفة خواص الأعداد»[1].

وله ثَبَتُهُ المسمى: «اللطائف النورية في المنح الدمنهورية» الذي ذكر فيه جماعةً من شيوخه ومقروءاته، ومؤلفاته، وبعض الإجازات ، إلى غير ذلك من التصانيف والمؤلفات.

ويتحصل من عرض كل ما سبق أن الشيخ الدمنهوري كان صاحب رؤية واسعة في العلوم والمعارف، واجتهادٍ في التضلع من مواردها الأصيلة، حتى صار من النبغاء في هذه العلوم، وألف فيها الكتب الكثيرة، وامتزجت تلك العلوم في عقله؛ فأورثت عنده المعرفة الواسعة والملكة العجيبة في العلوم النقلية والعقلية؛ بل وفي العلوم التطبيقية، وما يتعلق بالسياسة ونظم الحكم وإدارة شئون الرعية... إلى غير ذلك من العلوم والمعارف.

وهذا التبحر في العلم من الإمام الدمنهوري يذكرنا بمقولة نفيسة للإمام الخطيب البغدادي–رحمه الله– حيث نبه فيها على أنه يجب أن يكون العالِم الفقيه على هذا النحو من عدم قصر نفسه وحصرها على علوم معينة؛ بل يجب على العالِم الفقيه المتصدر أن يكون –مع رسوخه في العلوم الشرعية– مُلِمًّا بثقافة جيدة عن كل شيء؛ وذلك حتى يحسن تصور الوقائع والنوازل؛ فيحسن التعامل معها،

(١) انظر مؤلفاته في: أسانيد المصريين ص ٢٦٧، مشيخة الأزهر لعلي عبد العظيم ص ١٤٠، اللطائف النورية للدمنهوري (مخطوط) وترجمة لشيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر أحمد بن عبد المنعم بن يوسف الدمنهوري للباحث يوسف محمد سفاني الأزهري من إصدارات مكتب رسالة الأزهر .

فهو (يحتاج أن يتعلق بطرف من معرفة كل شيء من أمور الدنيا والآخرة، وإلى معرفة الجد والهزل، والخلاف والضد، والنفع والضر، وأمور الناس الجارية بينهم ، والعادات المعروفة منهم) [١].

وهذا ما شهد به غير واحد من العلماء شرقا وغربا لشيخ الإسلام أحمد الدمنهوري؛ بل أصبح كل من يلقاه من العلماء من داخل القطر المصري أو من خارجه لا يمتلك إلا أن يعبر عن مدى الإعجاب والتسليم له بالتقدم والرسوخ، في مختلف المعارف والفنون، فها هو الإمام العَلَم قاضي الجماعة التاودي بن سودة الفاسي المغربي يذكره في «فهرسته» ويقول فيه: (بحر لا ساحل له، وشيخ ما لقيت مثله) [٢].

وقال فيه أبو الربيع الحوات: (أَعلم أهل عصره بالديار المصرية في جميع الفنون النقلية والعقلية)[٣].

ويصفه العلّامة مفتي الشام محمد خليل المُرادي في ترجمته له بقوله (آية الله الكبرى في العلوم والعرفان، المفنن في جميع العلوم معقولاً ومنقولاً)[٤].

وقال عنه الجبرتي: (كانت له حافظة ومعرفة في فنون غريبة وتآليف، وأفتى على المذاهب الأربعة)[٥].

وقد مدحه أيضًا الإمام الحافظ السيد محمد مرتضى الزَّبِيدي –وهو أحد الذين أخذوا عنه– في ألفيته المسماة بـ «ألفية السند» بقوله:

إمام أهل العصر في المعارفِ * علّامة الوقت مجير الخائفِ

نِيطت به رغبة كل راغبِ * في فهم فقه سائر المذاهبِ

(١) الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي: ٢ /٣٥.
(٢) فهرس الفهارس والأثبات: ١/٤٠٤.
(٣) الموضع السابق.
(٤) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، للمرادي: ١/ ١١٧.
(٥) عجائب الآثار للجبرتي: ١/ ٥٢٥.

وكم له من كتب مؤلفةْ * في كل فن قد غدت مشَرَّفَةْ.

ثم قال الزَّبِيدي أيضًا في شرح ألفية السند له: و(كان عالي الإسناد، رفيع العماد، ألحق الأحفاد بالأجداد، ونزل الناس بموته درجة؛ إذ هو آخر من كان بينه وبين الحافظ البابِلِي واحد)[1] ، كما شهد له بالعلم والفضل أكابر الشيوخ والعلماء في كعبة العلم الأزهرِ الشريف.

وقد تصدى الإمام الدمنهوري رحمه الله للتدريس والإفادة، وقد طبقت شهرته الآفاق، كما كان لهذا النمط الموسوعي والتفنن في العلوم الذي كان يتمتع به الدمنهوري أثرٌ واضح في بعض من تتلمذوا له.

ومن الذين أخذوا عنه: العلّامة المتفنن محمد بن محمد المقدسي المعروف بابن بدير، والعلّامة المتفنن إبراهيم بن مصطفى الحلبي، والفقيه عز الدين إبراهيم بن عبد الله الدمشقي، والشيخ أحمد بن يونس الحليفي الأزهري الشافعي، والعلّامة مفتي بعلبك العلّامة هبة الله بن محمد بن يحيى الشهير بالتاجي، والفقيه المتقن أبو الفتح بن محمد العجلوني الشافعي، وعبد الله بن علي بن عبد الرحمن بن سويدان الدمليجي، والحافظ السيد محمد مرتضى الزبيدي، والمؤرخ عبد الرحمن الجبرتي الذي نقل لنا ترجمة حسنة عن الشيخ الدمنهوري في كتابه الموسوم بـ «عجائب الآثار».

أما عن صفاته الشخصية فيذكر لنا الجبرتي أنه كان صاحب هيبة عظيمة، حتى إن الأمراء كانوا يهابونه؛ لأنه (كان قَوّالاً للحق أمارًا بالمعروف... وقصدته

(١) فهرس الفهارس والأثبات: ٤٠٤/١. قلت: وقد كان عالي الإسناد في الرواية كما قال الزبيدي، إلا أنه لم يكن آخر من يروي عن الشمس البابلي بواسطة، كما حقق ذلك العلّامة حافظ المغرب السيد محمد عبد الحي الكَتَّاني، وذكر نفرا ممن روى عن البابلي بعد الدمنهوري، انظره في نفس الموضع.

الملوك من الأطراف، وهادته بهدايا فاخرة، وسائر ولاة مصر من طرف الدولة كانوا يحترمونه، وكان شهير الصِّيت عظيم الهيبة، منجمعًا عن المجالس والجمعيات)[١].

وقد كان السلطان العثماني مصطفى بن أحمد خان يُجِلُّ الشيخ الدمنهوري ويعظمه، ويذكر الجبرتي أن السلطان كانت له عناية بالعلوم الرياضية والفلكية، وأنه كان يهادي الشيخ الدمنهوري ويرسل إليه الصلات والكتب [٢].

ومما يدل أيضًا على تمتعه بتلك المهابة العظيمة في النفوس، ما حكاه الجبرتي أيضًا في حديثه عن الفتنة التي نشبت بين زعماء المماليك وأتباعهم من طائفتي العلوية والمحمدية، حيث ذكر أن حسن بك الجداوي من زعماء العلوية فر أمام مطارديه الأقوياء فلم يجد بيتًا يأويه غير بيت الإمام الدمنهوري فلجأ إليه، فطاردته طائفة المحمدية حتى بيت الشيخ في بولاق، وطلبوا تسليمه إليهم فامتنع عن إجابتهم؛ فلم يجسروا على اقتحام البيت [٣].

كما كان رحمه الله زاهدًا (سمحًا بما عنده من الدنيا)[٤]، ولم يزل الشيخ في ترق ورفعة من جميع الطبقات، حتى ولي مشيخة الجامع الأزهر سنة ١١٨٢ هـ – ١٧٦٨م، وقد كان الشيخ الدمنهوري هو الإمام العاشر في ترتيب شيوخ الأزهر، واستمر في المشيخة عشر سنوات إلى وفاته، الذي كان يوم الأحد عاشر شهر رجب سنة ١١٩٢ هـ – ١٧٧٨م، وصُلِّي عليه في الأزهر الشريف في مشهد حافل جدًّا، ودفن بالبستان[٥]، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه فراديس الجنان.

إن الحديث عن شيخ الإسلام الدمنهوري الأزهري، يجعل المطالع مضطرًا إلى الوقوف عند تلك الصفات والملكات الفذة التي تتجلى في شخصية هذا الشيخ

(١) عجائب الآثار للجبرتي: ١/ ٥٢٥.
(٢) عجائب الآثار: ٤٣٧/١.
(٣) مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن: ١٣٤/١.
(٤) عجائب الآثار للجبرتي: ١/ ٥٢٥.
(٥) الموضع السابق.

الجليل، والتي نحتاج أن نأخذ بأسباب غرسها وتفعيلها في نفوس أبنائنا وعقولهم؛ من أجل صناعة أجيالٍ قويةٍ واعيةٍ مبدعة، فالمثابرة والذكاء، وقوة الحافظة، والمنهجية المتقنة، والترتيب وجودة الانتقاء، والسماحة، وقوة الشخصية، والإحاطة بدوائر العلم والمعرفة المتنوعة التي تجعل العالِم قادرًا –عن جدارة– على استيعاب متطلبات زمانه من مسائلَ وقضايا وحاجات، ثم معالجتها عن وعي وبصيرة... كل هذه أمور لا يخطئ القارئ الحصيف الوقوف عليها، وتأملها في حياة هذا الإمام الجليل.

وجدير بالذكر في الختام الإشارة إلى أن تلك السنة التي رحل فيها عالِمنا الموسوعي شيخ الإسلام وشيخ الأزهر الشيخ أحمد الدمنهوري، هي نفس السنة التي بزغ فيها نجمُ العالِمِ الموسوعي وشيخ الإسلام الشيخ الإمام حسن العطار شيخ الجامع الأزهر؛ فقد ولد في نفس عام وفاة الإمام الدمنهوري، وهو أحد الشخصيات الموسوعية الفارقة أيضًا، والتي تذكّرنا بإمامنا الدمنهوري رحمه الله، حيث المنهجية الأزهرية الوسطية الرصينة، والاطلاع الواسع العجيب، والهمة العالية، والاهتمام بأسباب النهضة، والإحاطة بدوائر المعرفة المختلفة.

وهذا يؤكد على أن الأزهر الشريف لا يزال بحمد الله حتى الآن مخرِّجًا للأفذاذ من الدعاة والعلماء والأئمة، وصانعًا لأسباب النهضة للأمة، وإننا كلما قرأنا عن أحدٍ من أعلامه وجدنا أننا ما زلنا بحاجة إلى مزيد من القراءة للتعرف عليهم أكثر، والاستفادة من علومهم وتجاربهم وخبراتهم، في صقل العقول، وتهذيب النفوس، وصناعة العلماء الأكابر الذين تخرجوا في رحاب الأزهر الشريف حاملين أنوار العلم والهداية في المشرق والمغرب، وكذلك الاستفادة من منهجيتهم في التعامل مع

التراث والواقع؛ حتى نستبصر الطريق إلى تحقيق النهضة والتقدم، وكل ما فيه صلاح البلاد والعباد[1].

(١) بنظر في ترجمته: الأزهر في ألف عام، د/ محمد عبد المنعم خفاجي، عالم الكتب ومكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، وأسانيد المصريين (جمهرة في المتأخرين من علماء مصر ومناهجهم، وبيان سلاسل أسانيدنا إليهم) د/ أسامة السيد الأزهري، كلام للبحوث والإعلام ودار الفقيه، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م ، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لمحمد خليل بن علي المرادي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. ، وعجائب الآثار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي، دار الجيل-بيروت ، الفقيه والمتفقه، لأحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي، دار ابن الجوزي-السعودية، ١٤١٧هـ ، وفهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، للسيد محمد عبد الحي الكَتاني، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ١٩٨٢م ، واللطائف النورية في المنح الدمنهورية، للشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري (مخطوط)، ومشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن، للشيخ علي عبد العظيم، ط مجمع البحوث الإسلامية-مصر،و مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، للشيخ رفاعة الطهطاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م.

المبحث الثاني

نظرة عامة على الكتاب:

أبان المؤلف –رحمه الله– في مقدمة كتابه عن منهجه فيه ، ومقصده من تأليفه ، ومنهجه الذي سار عليه ، فقال رحمه الله: بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إعانة..حمْداً لِمَنْ أورَثَنا كِتابَهُ المُبينَ، ومَنَّ علَيْنا بِالاهْتِداءِ بنورِهِ المُسْتَبينِ، وصلاةً وسلاماً على صفيِّهِ مِنْ خُلاصةِ الأَنامِ، سيدِنا ومَولانا مُحمَّدٍ المُسْتَمِرِّ شرْعُهُ عَلى الدَّوام، وعلى آلِه وأصْحابِهِ المُعْرِبين عنهُ لِمَعانيهِ، المُبَلِّغينَ لِما بعْدَهُم بالتَّواتُرِ لِتَراكيبِهِ ومَبانيهِ، ما لَهِجْت ألْسِنةُ الحافِظينَ بِتِلاوَتِه، وتَحَلَّتْ جِيادُ الطُّروسِ[1] بِرَسْمِ كِتابَتِه، وبَعْدُ..

فيقولُ المُشْفِقُ مِما جناهُ مِنْ الزَّلِلِ، أحمدُ الدمنْهوريُّ المُرتَجي مِن مولاه إصلاحَ الخَلَل:

لمَّا أتُيحَ لي في غابِرِ الزَّمانِ[2]، قِراءةُ تفْسيرِ بعْضِ سُور مِن القُرآن، مِن أوَّلِ الضُّحى إلى آخِرِ سُورةِ النَّاسِ، وحصَلَ للطَّلَبةِ بِذلِك كمالُ الاسْتِئْناسِ، الْتَمسَ مِنِّي

(١) الطُّروس جمع مفرده الطِّرْسُ وهو الصحيفة والكتاب الذي قد مُحِيَ ثم كُتبَ والجمع أَطْراسٌ وطُروسٌ مِثْلُ حِمْلٍ وَأَحْمَالٍ وَحُمُولٍ ، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] تحقيق عبد الحميد هنداوي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ٤٢٤/٨/طرس، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت لا تاريخ ٣٧١/٢/طرس، ولسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، ١٢١/٦/طرس.

(٢) أي: الماضي من الزمان. و«غَبَر» من باب «قعد»، ويأتي بمعنى بقي، وبمعنى: مضى، فهي من الأضداد لأنها دلت على معنيين متضادين. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ٧٦٥/٢/غبر ، ومعجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ٤٠٨/٤/غبر.

بعْضُهُمْ أنْ أكتُبَ على ذلك المَرامِ، كِتابةً وسَطا ينْتفِعُ بِها غالِبُ العَوامِ، لِكَثْرة مَنْ يحفَظُ هذه السُّورِ القِصَارِ، فيَحْصُلُ لهُمْ بِبَيانِ معْناها الفَوائِدُ النِّزارُ[1].

فأجَبْتُه – وإن كُنْتُ لستُ أهْلا لِذلِك، ولا مِمَّن لهُ قُدْرةٌ على سُلوكِ تِلك المَسالِك – لأنَّ معَانيَ القُرآنِ العَظيمِ بحْرٌ عميقٌ، لا يهْتَدي لِبَعْضِها إلا مَن تحقَّقَ بِكَمالِ التَّوفيقِ، غيرَ أنَّ اعْتِمادي على مَن بِيدِهِ المَواهِبُ السَّنيّةُ، هو الذي أباحَ لي التَّوَجُّهَ تِلقاءَ مَدْيَنَ[2] هذِه الأُمنيّة.[3] أ هـ.

ثم وضح منهجه في الكتاب فقال: وقد اقْتَصرْتُ على المشْهورِ مِن أقْوالِ المُفَسِّرينَ، وتَرَكْتُ العَزْوَ[4] غالِباً –لِلاخْتِصار– إلى الأئِمّةِ المُعتَبَرينَ ، وذَكَرْتُ فِي أولِ الكَلام معانيَ غريبِ الألفاظِ، وأَعْرَبْتُ ما أُشْكِلَ إعْرابُهُ على بعْضِ الحُفَّاظِ، ثُم ذكَرْتُ تَفْسيرَ المُركَّباتِ، مُتْبِعاً لهُ بِبَيانِ بعْضِ القِراءاتِ[5]، مُسَمِّياً لِذلك بِالمَبادي

---

(١) نزُر الشيء -بالضم- نزَارة ونُزُورا، فهو نَزْر: أي قليل. أقول: ولعل مقصد المؤلف -رحمه الله- من ذلك: الفوائد المختصرة العبارة، الجامعة الموجزة، المؤدية للغرض، المحققة للهدف، كما يرى من هذا الفيض، والله أعلم.

(٢) «مدين» هي قرية شعيب عليه السلام، وهذا التعبير اقتباس من قوله تعالى في قصة موسى: (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ) [القصص: ٢٢].

(٣) ينظر: الفيض العميم ص٣ .

(٤) العزو لغة: من عزا يعزو عزوا أي نسبه يقال: عزاه إلى أبيه أي نسبه إليه، ويقال: عزوته وعزيته ,والاعتزاء: الانتماء، يقال: إلى من تعزي هذا الحديث إي إلى من تنميه، ويقال أيضا: عزيت الشيء وعزوته أعزيه وأعزوه إذا أسندته إلى أحدمن «عزا يعزو» أي نسب، يقال: «عزا الخبر إلى صاحبه» أي أسنده إليه. ينظر: المحيط في اللغة لأبي القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني ، الناشر : عالم الكتب - بيروت / لبنان - ١٤١٤هـ -١٩٩٤ م الطبعة : الأولى تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين١١٨/٢/عزا، والمخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) تحقيق خليل إبراهم جفال الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م٢١٢/٤/عزا.ومعناه: نسبة الأقوال إلى أصحابها من خلال الطرق التي وردت منها سواء كانت هذه الطرق مسندة من كتب أو كانت طرقا أدائية.

(٥)القراءات جمع قراءة وهي في اللغة مصدر سماعي لقرأ ، وفي الاصطلاح: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها. ينظر: النشر في القراءات العشر ط دار الكتب العلمية لاط لات ٢٢٣/٢. ومناهل العرفان في علوم القرآن ، للأستاذ محمد عبد العظيم الزرقاني ، ط دار الحديث القاهرة ، الأولي ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ٢٨٩/١،

واللَّواحِقِ والمَقاصِدِ وبِالخَواتِمِ، لِتَسْهُلَ المُراجَعةُ على القاصِدِ، مُشيراً لِكلِّ واحِدٍ بِآخِرِهِ مِن الحُروفِ، كالياءِ المُثَنَّاةِ مِن «المَبادِي»، فآخِرُ البَقيّةِ معْروفٌ[١].

والجائِزُ مِن القِراءاتِ ما صَحَّ سنَدُهُ، مُوافِقاً لِلإمامِ[٢]، وكانَ لهُ وجْهٌ فِي العَرَبيةِ عِندَ الأعْلامِ، والمُمْتَنِعُ ما فقَدَ شيئاً مِن هَذِه الأرْكانِ، وهو ما خرَجَ عنْ طريقِ «الطَّيِّبةِ»[٣] في هذا الزَّمانِ.

وحَيْثُ ذكَرْتُ الخِلافَ في الحَرْفِ فمُرادي الأوَّلُ[٤]، فإنْ زِدْتُ «شاذاً» فمُرادي الثاني[٥]، لِيُعْلَمَ ما علَيه المُعَوَّلُ.

وما عوَّلْتُ عليهِ طريقُ «طيَّبةِ النَّشْرِ»، لِما يأتي مِنْ أنَّ المُتَواتِرَ عِندَ القُراءِ القِراءاتُ العَشْرُ.

---

(١) قسم الإمام الدمنهوري تفسيره لكل سورة إلى أربعة أقسام، سمى القسم الأول منها «المبادي» ورمز له بالحرف «ي»، وسمى القسم الثاني «اللواحق» ورمز له بالحرف «ق»، وسمى القسم الثالث «المقاصد» ورمز له بالحرف «د»، وسمى القسم الأخير «الخواتم» ورمز له بالحرف «م».
وقد حافظنا على تقسيم الإمام الدمنهوري، مع عنونة الأقسام الأربعة بأسمائها كاملة، لا بمجرد الحروف التي ترمز إليها، مع إضافة توضيح بين قوسين لعنوان كل قسم.

(٢) أي موافقا لخط المصحف الإمام، وهو مصحف عثمان رضي الله عنه الذي أمسكه لنفسه. وفي هذا نظر -كما في لطائف الإشارات، إن كان هذا قصده- لأن المعتمد موافقة أحد المصاحف = = العثمانية -كما في النشر وغيره- التي أرسلها سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار: مكة والشام واليمن.. إلخ، وعددها خمسة أو سبعة، وحُبس بالمدينة واحد. وقد ذكر المؤلف هنا الأركان الثلاثة لصحة القراءة التي هذا بيان أحدها، وقبله: ما صح سنده، وبعده: وكان له وجه في العربية عند الأعلام. وقد نظمها ابن الجزري في الشاطبية بقوله:

كل ما وافق وجه النحـــو * وكان للرسم احتمالا يحوي
وصح إسنـــادا هو القرآن * فهذه الثلاثة الأركـان
وحينما يختل ركن أثبت * شذوذه ولو أنه في السبعــة

ينظر: طيبة النشر في القراءات العشر ضمن إتحاف البررة بالمتون العشرة في القراءات والرسم والآي والتجويد، مطبعة مصطفى الحلبي / مصر / عام ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م ص ١٦٩.
وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر/ تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل / الناشر عالم الكتب / بيروت/ مكتبة الكليات الأزهرية/ القاهرة / ط أولى عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ١ / ٧٠.

(٣) متن «طيبة النشر في القراءات العشر» للإمام ابن الجزري، أحد أهم متون علم القراءات.

(٤) أي: الجائز من القراءات، والحرف يعني: القراءة.

(٥)أي: الممتنع الذي فقد شيئا من أركان صحة القراءة الثلاثة، فيمتنع القراءة به.

وسَمَّيتُ هَذه العُجالةَ بِـ: الفَيْضِ العَميمِ في معنى القُرآنِ العَظيمِ [1] أ هـ.

ثم كتب مقدمة قيمة في علوم القرآن الكريم بين فيها . بإيجاز . معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما ، أجاد الشيخ فيها وخاصة في معنى التأويل عند السلف الصالح رضوان الله عليهم وكذا الخلف ، ثم تحدث عن موضوع علم التفسير واستمداده والغرض منه ، وفضل القرآن الكريم وتلاوته وتعليمه والتحذير من نسيانه بعد حفظه ، ثم تحدث عن قضية تنزلات القرآن الكريم ، قال رحمه الله: فالتَّفسيرُ في الأصْلِ الكَشْفُ والإبانةُ، والتَّأويلُ مُشْتَقٌّ مِنَ الأوَّل، وهو الرُّجوعُ إلى الأصلِ، فعِلمُ التَّفسيرِ عِلمٌ يُبْحَثُ فيه عن أحْوالِ القُرآنِ المَجيدِ، مِن حيْثُ دِلالَتُهُ على معناهُ، بِحَسْبِ الطَّاقةِ البَشَريّةِ، ثُمَّ هو قِسْمانِ:

- تَفْسيرٌ، وهُو ما لا يُدْرِكُ إلَّا بِالنَّقْلِ، كأسْبابِ النُّزولِ،
- وتَأْويلٌ، وهُو ما يُمْكِنُ إدْراكُهُ بِالقَواعِدِ العَرَبيةِ، غيرَ خارِجٍ عنْ معْنَى الكِتابِ والسُّنّةِ، فيَجوزُ بِالرَّأيِ بِشُروطِهِ دُونَ التَّفْسيرِ.

فالفَرْقُ بينَهُما أنَّ التَّفْسيرَ كشَهادةٍ على اللهِ وقَطْعٍ بِأنَّه عَنى بِهذا اللَّفْظِ هذا المَعْنَى، فلا يجُوزُ إلا بِتَوقيفٍ [2] –ولِذا جزَمَ الحاكِمُ [3] بِأنَّ تفسيرَ الصَّحابِي في حُكْمِ المَرفوعِ [4] والتَّأوِيلَ [5] ترجيحٌ لِأَحَدِ الْمُحْتَمَلاتِ بِلا قَطْعٍ فاغْتُفِر.

---

(١) ينظر: الفيض العميم ص٣ .

(٢) في المخطوطة "بتوفيق" وسياق الكلام يقتضي ما أثبت، فلعله سبق قلم أو سهو من الناسخ.

(٣) هو محمد بن عبد الله بن حمدون النيسابوري، أبو عبد الله، الشهير بالحاكم النيسابوري (٣٢١-٤٠٥هـ)، شيخ المحدثين. له مصنفات عديدة، من أشهرها «المستدرك على الصحيحين»، وهو الكتاب الذي جميع فيه الأحاديث التي استدركها على الصحيحين، وهو أشهر المستدركات، وله أيضا «فضائل الشافعي»، و«تراجم الشيوخ» وقد اتُّهِمَ بالرفض والغلو في التشيع، ولا يصح ذلك عنه، وقد دفع هذه التهمة غير واحد من أهل العلم، ينظر: تاريخ بغداد (٣/ ٥٠٩)، ،سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٦٣)، وميزان الاعتدال (٥/ ٥٤)، ولسان الميزان (٦/ ٢٥٠).

(٤) المرفوع من الحديث هو ما أضيف إلى النبي ﷺ، قولا أو فعلاً أو تقريرًا أو صفةً.

(٥) معطوف على لفظ «التفسير» الوارد في أول العبارة.

وما ورَدَ مِن الأخْبارِ والآثارِ في وعيدِ مَن فسَّرهُ بِرَأْيه، كقَولِهِ صلى الله عليه وسلم: (مَن قالَ في القُرآنِ بِرأيهِ فلْيَتبوَّأ مِقْعدَهُ مِن النَّارِ)[1]، المُسْتَدَلُّ بهِ على تحْريمِ التَّكَلُّمِ بِغَيرِ المَسْموعِ، محْمولٌ على مَن قالَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ شيئاً مِن غيرِ عِلْمٍ، أو لِتَرْويجِ بِدْعَتِهِ، كحَمْلِ «فِرْعَونَ» في ﴿ٱذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[2] على النَّفْسِ، و«الثَّقَلَيْنِ»[3] على الدُّنيا والآخِرة، فإنَّ هَذا الحَمْلَ ليسَ لهُ طريقٌ مِنْ الطُّرُقِ، بِخِلافِ ما لهُ طريقٌ، فإنَّهُ يجوزُ.[4]

قالَ بعضُهُمْ: وأمَّا التَّأويلُ وهو صرْفُ الآيةِ إلى معَنًى مُحْتَمَلٍ، مُوافِقٍ لِما قبْلَهَا وما بعْدَهَا، غيْرِ مُخَالِفٍ لِلكِتابِ والسُنّةِ، مِن طريقِ الاسْتِنْباطِ، فقَدْ رُخِّصَ فِيهِ لأهلِ العِلْمِ، وذلِك كتَأويلِ «الكُفَّارِ» في قولِه تعالى: ﴿قَاتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾[5] بِالْجَوَارِحِ بِسَبَبِ اسْتِعْمَالِهَا في غيرِ مَا خُلِقَتْ لِأَجْلِهِ[6]، وَذلِك بعْدَ بيانِ المَعْنى الظَّاهِرِ مِنْ الآيةِ، لا على أنَّه معْنى الآيةِ، فيكونُ إلحاداً يُتَوصَّلُ بِهِ إلى نفي الشَّريعةِ، وهُو كُفْرٌ.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه [كتاب تفسير القرآن]، والنسائي في السنن الكبري [كتاب فضائل القرآن] بسنديهما عن ابن عباس.

(٢) سورة النازعات - الآية ١٧

(٣) في قوله تعالى: (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ) [سورة الرحمن - الآية ٣١].

(٤) يشير المؤلف في هذه الفقرة وما بعدها إلى الجائز وغير الجائز من التفسير الإشاري، وشروطه إجمالا هي: ١- عدم منافاته لمقتضى اللغة ولظاهر النظم القرآني الكريم، ٢- أن يكون لها شاهد شرعي يؤيده من الكتاب والسنة أو سائر الأصول المعتمدة، ٣- ألا يكون له معارض شرعي قطعي، ٤- ألا يدعى أن هذا التفسير الإشاري هو وحده المراد دون الظاهر، بل لا بد من إقرار التفسير العباري (الظاهر) أولا، ثم الأخذ بالمعنى الإشاري. [أ.د. جودة المهدي رحمه الله، كلمة تقديم لتفسير البحر المديد لابن عجيبة رضي الله عنه].

(٥) سورة التوبة - من الآية ١٢٣.

(٦) قريب من ذلك قول الإمام القُشيري في تفسيره لهذه الآية: أقربُ الأعداء إلى المسلم من الكفار، الذي يجب عليه منازعته هو أعدى عدوِّه أي نَفْسُه، فيجب أن يبدأ بمقاتلة نَفْسِه ثم بمجاهدة الكفار، قال ش: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر). الحديث ٢٠٠ تخريجه: ويقول السلمي في «حقائق التفسير»: [قال سهل: النفس كافرة فقاتلها بالمخالفة لهواها، واحملها على طاعة الله والمجاهدة في سبيله وأكل الحلال وقول الصدق وما قد أمرت به من مخالفة الطبيعة].

قالَ النَّسَفِيُّ[١] في عقائِدِهِ: النُّصوصُ على ظواهِرِها، والعُدولُ عنْها إلى معانٍ يدَّعيها أهلُ الباطِنِ إلحادٌ.

وقالَ التَّفْتازاني[٢] في شَرْحِه: وأمَّا ما يذهَبُ إليهِ بعْضُ المُحَقِّقينَ مِنْ أنَّ النُّصوصَ على ظواهِرِها، ومعَ ذلِكَ فيها إشاراتٌ خفيّةٌ إلى دقائِقَ تنْكَشِفُ على أربابِ السُّلوكِ، يُمْكِنُ التَّطْبيقُ بينَها وبيْنَ الظَّواهِرِ المُرادةِ.. فهُو مِنْ كمالِ العِرْفانِ ومَحْضِ الإيمانِ.

وقالَ ابْنُ الصَّلاحِ[٣] في فتاويهِ: فياليْتَهُمْ لمْ يتَساهَلوا بِمِثْل ذلِكَ لِما فيهِ مِن الإبْهامِ والإلباسِ.

قُلتُ: وما ذكَرَهُ ابنُ الصَّلاحِ في غايةِ الجَودةِ والصَّلاحِ.

وقالَ حُجّةُ الإسلامِ[٤] في الإحياءِ: تحْريمُ التَّكَلُّمِ بِغَيرِ المَسْموعِ باطِلٌ، إذ لا يُصادَفُ السَّمَاعُ مِن رسول اللهِ ﷺ إلَّا في بعْضِ الآياتِ، والصَّحابةُ ومَنْ بعْدَهُم

---

(١) هو عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن لقمان، أبو حفص النسفي الحنفي، نجم الدين وشيخ الإسلام (٤٦١-٥٣٧ه). فقيه ومحدث، وإمام فاضل، ولد في نسَفَ، قرب سمرقند. من أشهر مصنفاته كتاب «العقائد النسفية» أو «عقائد النسفي»، وهو متن متين، ولع به العلماء فقاموا بشرحه وتلخيصه والتحشية عليه، وأشهر من شرحه سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ، ينظر: الجواهر المضية ١: ٣٩٤ ولسان الميزان ٤: ٣٢٧ وإرشاد الأريب ٦: ٥٣.

(٢) هو سعد الملة والدين، مسعود بن عمر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي سعيد الغازي التفتازاني (٧٢٢- ٧٩٢ه). فقيه ومتكلم وأصولي ونحوي ومنطقي. ولد بقرية تفتازان من مدينة نسا في خراسان في أسرة عريقة في العلم، حيث كان أبوه عالماً وقاضياً، وكذا كان جده ووالد جده من العلماء. له مصنفات كثيرة منها «شرح تصريف الزنجاني»، و«الشرح المطول على تلخيص المفتاح»، و«شرح العقائد النسفية»، و«حاشية على تفسير الكشاف» وتوفي سنة ٧٩٢ هـ. ينظر: الدرر الكامنة، لابن حجر، (٤/ ٣٥٠)، وشذرات الذهب، لابن العماد، (٨/ ٥٤٧).

(٣) هو أبو عمرو عثمان ابن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي، المعروف بابن الصلاح (٥٧٧-٦٤٣ه). كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقة وأسماء الرجال. من أشهر مصنفاته مقدمته في علم الحديث المعروفة بـ «مقدمة ابن الصلاح»، و«أدب المفتي والمستفتي»، وكتاب في الفتاوى جمعه بعض أصحابه، ينظر: وفيات الأعيان ١: ٣١٢ وطبقات الشافعية ٥: ١٣٧ وشذرات الذهب ٥: ٢٢١.

(٤) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي النيسابوري، الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري، الملقب بحجة الإسلام وزين الدين (٤٥٠-٥٠٥ه). مجدد القرن الخامس الهجري، أحد أهم أعلام عصره وأحد أشهر علماء التصوف في التاريخ الإسلامي. من

اخْتَلَفوا اخْتِلافاً لا يُمْكِنُ فيه الجَمْعُ، ويَمْتَنِعُ سماعُ الجَميعِ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ، والأخْبارُ والآثارُ تدُلُّ على اتِّساعِ معانيه: قال عليه السَّلامُ لابْنِ عبَّاسٍ: (اللَّهُمَّ فقِّهْهُ في الدِّينِ وعَلِّمْهُ التَّأويلَ)[1]، ولَو كانَ مسْموعًا فلا وجْهَ لِلتَّخْصيصِ، وقال عزَّ وجَلَّ: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُۥ﴾٢، وقال أبو الدَّرْداءِ: «لا يفْقَهُ الرَّجُلُ حتَّى يجْعَلَ لِلقُرآنِ وُجوهاً»[3]، وقال عليٌّ رضي الله عنه: «لو شِئْتُ لأوْقَرْتُ[4] سبْعينَ بعيرًا مِنْ فاتِحةِ الكِتابِ»، وقال ابْنُ مسْعودٍ: «مَنْ أرادَ عِلْمَ الأوَّلينَ والآخِرينَ فلْيُثَوِّرِ القُرآنَ»[5]، أي يتَفَكَّرُ في معانيهِ، وقال بعْضُ العُلَماءِ: «لِكلِّ آيةٍ سِتُّونَ أَلْفَ فهْمٍ، وما بقيَ مِنْ فهْمِهَا أكْثَرُ»... إلى آخِرِ ما قال[6].

وحاصِلُ هذه المَسْألةِ[7] باخْتِصارٍ أنَّ عُلومَ القُرآنِ ثَلاثةُ أَقْسامٍ:

- الأوَّلُ: عِلْمٌ لمْ يُطْلِع اللهُ أحَداً مِن خلْقِهِ علَيه، وهو ما اسْتَمَلَ عليه[8] مِنَ الأَسْرارِ التي لا يعْلَمُها إلا هُو سُبْحانَه، فلا يجوزُ لِأحَدٍ الكَلامُ فيهِ إجْماعاً.
- الثَّاني: ما أطْلَعَ نبيَّهُ علَيهِ مِن أسْرارِهِ واخْتَصَّهُ بِه، فلا يجوزُ الكَلامُ فيه إلا لهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، أوْ لِمَنْ أذِنَ لهُ مِنْ وارِثي عِلْمِهِ وحالِهِ. قِيْل وأوائِلُ السُّورِ مِنْ هذا القِسْمِ، وقيلَ مِنَ القِسْمِ الأولِ.

أشهر تصانيفه «إحياء علوم الدين»، و«جواهر القرآن ودرره»، و«الاقتصاد في الاعتقاد»، ينظر: وفيات الأعيان ١: ٤٦٣ وطبقات الشافعية ٤: ١٠١ وشذرات الذهب ٤: ١٠

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك الوضوء/ ب: وضع الماء عند الخلاء/ ١٤٣.

(٢) سورة النساء - من الآية ٨٣

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٤٣/ ٣٠١٦٣، والمسند لابن حنبل صـ ١٣٤/ ٧٠٧.

(٤) الوِقْر هو الحِمل الثقيل. يُقال «أوقر فلان الدابة إيقارا» حمَّلها حملا ثقيلا. المصباح المنير ٢/ ٦٦٨/ وقر.

(٥)أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٢١/ ١٩٦٠، والزهد صـ ١٥٧/ ٨٥٠، والطبراني في الكبير ٩/ ١٢٥/ ٨٦٦٤ قل الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني ورجاله ثقات. مجمع الزوائد ٧/ ١٦٥.

(٦)أي الإمام الغزالي في الإحياء [كتاب آداب تلاوة القرآن، الباب الرابع: في فهم القرآن وتفسيره بالرأي ، ينظر إحياء علوم الدين١/٢٠٥، .

(٧) يقصد مسألة تفسير القرآن الكريم وفهم معانيه ومعرفة علومه التي احتواها.

(٨) أي القرآن العظيم.

– الثالِثُ: ما علَّمَهُ اللهُ تعالى لِنبيِّهِ مِن المَعاني الجَليّةِ والخَفيّةِ، وأمَرَهُ بِتَعليمِها، وهُو قِسْمانِ:

١– ما لا يجوزُ الكَلامُ فيهِ إلا بِطَريقِ السَّمْعِ كالنَّاسِخِ والمَنْسوخِ، وأسْبابِ النُّزولِ،

٢– وما يُؤْخَذُ بِطَريقِ الاسْتِنْباطِ، وهُو قِسْمانِ: مُخْتَلَفٌ في جوازِهِ، وهو تأْويلُ الآياتِ المُتَشابِهاتِ في الصِّفاتِ، ومُتَّفَقٌ على جوازِهِ، وهو استِنْباطُ الأحكامِ الأَصْليّةِ والفَرْعِيّةِ والإعْرابِيّةِ، وفُنونِ البَلاغةِ لِمَنْ فيه أَهْلِية ذَلِك، وما عدا هذِهِ الأُمورِ مِن التَّفْسيرِ بِالرَّأي المَنْهِيِّ عنْهُ[١] أ هـ. [٢]

ولأن تفسير العلامة الدمنهوري يبدأ بتفسير سورة الضحى عقد الشيخ مبحثًا موجزًا تحدث فيه عن حكم التكبير وصيغته وبدايته ونهايته ، فقال رحمه الله: التكبير عند سورة الضحى: ومِنْها ما سيَأْتي مِن أنَّهُ وردَ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كبَّرَ حِينَ نزَلَتْ سُورةُ الضُّحَى –وأَمَرَ أَنْ يُكَبِّرَ إذا بلَغَ «والضُّحَى»[٣] في خاتِمةِ كلِّ سُورةٍ حتَى يخَتِمَ– حينَ انْقَطعَ عنهُ الوَحْيُ فقالَ المُشْرِكونَ: «قلَى مُحَمَّداً ربُّهُ».

قَالَ بعْضُهُمْ: قالَ: (اللهُ أَكْبَرُ تصْديقاً لِما أنا علَيهِ وتَكْذيباً لِلكافِرين)، وقيلَ فرَحَاً وسُروراً، أيْ بِنُزولِ الوَحْي، وقيلَ غيرَ ذلِكَ مِمَّا ذكَرْتُهُ في «غُنْيةِ الفَقيرِ»[٤].

فإنْ قُلْتَ: ما ذُكِرَ يقْتَضي سبَبَ ابْتِداءِ التَّكبيرِ مِنْ «الْضُحَى»، أوَّلِها أو آخِرِها، وقَد ثبَتَ ابْتِداءُ التَّكْبيرِ أيضاً مِن أوَّلِ «أَلَمْ نَشْرَحْ»، فهَلْ مِن سَبَبٍ يقْتَضي ذلِكَ؟ فالجَوابُ مِن احْتِمالاتٍ، أنَّهُ يُحْتَمَلُ أنْ يَكونَ الحُكْمُ الذي لِسورةِ الضُّحَى انْسَحَبَ لِلسُّورةِ التي تليها، وجُعِلَ حُكْمُ ما لِآخِرِ «الضُّحَى» لِأوَّلِ «أَلَمْ نَشْرَحْ».

---

(١) ينظر: الفيض العميم ص٤ .

(٢) المرجع السابق.

(٣) أي بدءا من سورة «والضحى»، على خلاف من أولها لآخرها، وقد بين ذلك في المسألة الثالثة لا هنا.

(٤) كتاب «غُنية الفقير لما للطيبة من التكبير» من مؤلفات العلامة أحمد الدمنهوري في علم القراءات.

وقَد صَحَّ التَّكْبيرُ عن أهْلِ مكَّةَ، قُرَّائِهِمْ وعُلَمائِهِمْ ومَنْ رَوَى عنْهُمْ، صِحَّةً اسْتَفاضَتْ حتَى بلَغَتْ حدَّ التَّواتُرِ، وصَحَّتْ أيضاً عن أبي عمْروٍ من رِوايةِ السُّوسي، وعن أبي جعْفَرٍ مِنْ رِوايةِ العُمَرِي، وعَنْ سائِرِ القُرَّاءِ، وقَدْ صارَ على هذا العمَلُ عِنْدَ أهْلِ الأمْصارِ في سائِرِ الأقْطارِ عِنْدَ خَتْمِهِمْ في المَحافِلِ لدى الأماثِلِ[1]، وكثيرٌ مِنْهُم يقومُ به في صلاةِ رمَضانَ، ولَا يتْرُكُهُ عِنْدَ الخَتْمِ على أَي حالةٍ كانَ، وكانَ بعْضُهُمْ يأخُذُ بِه في جميعِ القُرآنِ لِجميعِ القُرَّاءِ.

وقَد قَرأْنا بِه عمَلاً بِما قالَ في الطَّيِّبةِ[2]: «ورُوِيَ عن كُلِّهِم أوَّلُ كُلٍّ يسْتَوِي».
قالَ ابنُ النَّاظِمِ[3]: قوْلُهُ «ورُويَ» أيْ رُوِيَ التَّكْبيرُ أيضاً عن كُلٍّ مِن القُرَّاءِ في أَوَّلِ كلِّ سُورةٍ، وهُو أيضاً في وجْهِ البَسْمَلةِ حتَّى لِحَمْزةَ، لو قُرِئَ بِه لهُ لا بُدَّ أنْ ينْوِيَ الوَقْفَ، فيَصِيرُ مُبْتَدِءاً، وإذا ابْتَدأَ وجَبَتِ البَسْمَلةُ كما تقَدَّمَ في بابِ البَسْمَلةِ[4]. قوْلُهُ «يسْتَوِي» أي التَّكْبيرُ على التَّسْوِيةِ عنْهُم في كُلِّ سُورةٍ، أو اسْتَقَرَّ عنْهُم كذَلِكَ.

فعَلَيهِ إذا ابْتَدأْتَ أيَّ سُورةٍ مِنْ الْقُرآنِ فائْتِ بِأَرْبَعةِ أوْجُهٍ كأَوْجُهِ الاسْتِعاذةِ مع البَسْمَلةِ، وأمَّا إذا جمَعْتَ بيْنَ سُورَتَيْنِ فسَيَأتِي الكَلامُ على ذلِكَ.

موضع وصيغة التكبير: واخْتَلفَ الرَّاوُونَ لهُ في ابْتِدائِهِ وانْتِهائِهِ وصِيغَتِهِ، فقيلَ لِأَوَّلِ السُّورةِ، وقيلَ لِآخِرِها، فرُوِيَ أنَّهُ مِن أوَّلِ «أَلَمْ نَشْرَحْ» أو مِن آخِرِ سُورةِ الضُّحَى، أو مِن أوَّلِها.

(١) المحافل جمع «محفل» وهو مكان الاجتماع، وأماثل القوم خيارهم، جمع «أمثل».
(٢) متن «طيبة النشر في القراءات العشر» لابن الجزري.
(٣) هو أحمد بن محمد بن محمد، أبو بكر، شهاب الدين ابن الجزري القرشي الشافعي مقرئ، دمشقي المولد والوفاة. برز في علم القراءات وعمر مدرسة للقراء وسماها دار القرآن وأقرأ الناس وعين لقضاء الشام مدة ، توفى سنة ٨٣٣هـ. ينظر: الأعلام٢٢٧/١..
(٤) أي باب البسملة من متن «الطيبة».

ولَمْ يرْوِ أحَدٌ أنَّهُ مِن آخِرِ اللَّيلِ، ومَنْ ذكَرَهُ كذَلِكَ، كالشَّاطِبيّ[1]، فمُرادُهُ بِآخِرِ اللَّيلِ أوَّلُ الضُّحَى، كما بيَّنْتُهُ معَ الإشْكالِ في كلامِ الشَّيخِ والجَوابِ عنْهُ في كِتابتِي[2] على تكْبيرِ الشَّاطِبيةِ.

وأمَّا انْتِهاؤُهُ فقيلَ آخِرُ سورةِ النَّاسِ، وقيلَ أوَّلُها ولا تكْبيرَ في آخِرِها، والوَجْهانِ مبْنيَّانِ على أصْلٍ، هُو أنَّ التَّكْبيرَ هلْ هُو لِأوَّلِ السُّورةِ أو لِآخِرِها؟ فمن ذهَبَ إلى الأوَّلِ لمْ يُكبِّرْ في آخِرِ النَّاسِ، سواءً كانَ التَّكْبيرُ عِندَهُ مِن أوَّلِ الضُّحَى أو مِنْ أوَّلِ الانْشِراحِ، ومَن جعَلَ الابْتِداءَ مِن آخِرِ الضُّحى كبَّرَ في آخِرِ النَّاسِ.

وأمَّا صيغَتُهُ فلَمْ يخْتَلِفْ أحَدٌ مِمَّنْ أثْبَتَهُ أنَّ لفْظَهُ «اللهُ أكْبَرُ»، ولكِنْ اخْتُلِفَ عن البَزِّي، وعمَّنْ رواهُ عنْ قُنْبُلَ في الزِّيادةِ عليهِ.

فأمَّا البَزِّي فرَوى الجُمْهورُ عنْهُ هذَا اللَّفْظَ بِعَينِهِ مِن غيرِ زيادةٍ، ورَوى الآخَرونَ عنْهُ التَّهْليلَ مِن قَبلِ التَّكْبيرِ، واخْتَلفَ الآخَرونَ في التَّهْليلِ مع التَّكْبيرِ، فرَوى بعْضُهُم التَّهْليلَ قبْلَ التَّكْبيرِ، وزادَ بعْضُهُم «ولِلهِ الحَمْد» بعَدَ التَّكْبيرِ، ولم يتَكَلَّمْ الشَّاطِبي على «ولِلهِ الحَمْد»، وقَدْ قرأْنَا بِه إذ هو طريقُ ابْنِ فَرَحٍ عنْ البَزِّي.

وأمَّا قُنْبُلُ فقَطَعَ جُمْهورُ المَغارِبةِ بِالتَّكْبيرِ فقَط، والأكْثرُ مِن المَشارِقةِ على التَّهْليلِ، ورُوِيَ عنهُ التَّهْليلُ أيْضاً.

---

(١) هو قاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني أبو القاسم وأبو محمد الشاطبي، صاحب القصيدة التي سماها "حرز الأماني ووجه التهاني" في القراءات، كان عالما في القراءات والتفسير والنحو واللغة وغيرها، وكان ضرير البصر، توفي سنة ٤٩٠هـ "معجم الأدباء ٦/ ١٨٥"، وفيات الأعيان ١/ ٥٣٤، غاية النهاية ٢/ ٢٠، شذرات الذهب ٤/ ٣٠١"..

(٢) كتاب «حسن التعبير عما للحرز من التكبير» أحد مؤلفات الإمام الدمنهوري في علم القراءات، والمقصود بالحرز هنا منظومة «حرز الأماني ووجه التهاني» للإمام الشاطبي.

وأمَّا حُكْمُ الإتيانِ بِه بينَ السُّورَتيْنِ، فاخْتُلِفَ في وصْلِهِ بِآخِرِ السُّورةِ والقَطْعِ عليهِ، وفي القَطْعِ على آخِرِ السُّورةِ ووصْلِهِ بما بعْدَه، وذلِك مبْنيٌّ على ما تقَدَّمَ مِن أنَّ التَّكْبيرَ لِآخِرِ السُّورةِ أوْ لِأوَّلِها.

وسيأْتي على التَّقْديرَيْن في حالةِ وصلِ السُّورةِ بِالسُّورةِ ثمانيةُ أوْجُهٍ، يمْتَنِعُ مِنْها وجْهٌ واحِدٌ إجْماعا، وهو وصْلُ التَّكْبيرِ بِآخِرِ السُّورةِ وبِالبَسْملةِ مع القَطْع عليها، لأنَّ البَسْملةَ لِأوَّلِ السُّورةِ، فلا يجوزُ أنْ تُجْعَلَ مُنْفَصِلةً عنها مُتَّصِلةً بِآخِرِ السُّورةِ، فلا يتَأتَّى هذا الوَجْهُ على تقْديرٍ مِن التَّقْديرَيْن المَذْكورَيْن، ويبْقى سبْعةُ أوْجُهٍ، مِنها اثْنانِ مُخْتصَّانِ بِتقْديرِ أنْ يكونَ التَّكْبيرُ لِآخِرِ السُّورةِ، واثْنانِ بِتَقْديرِ أنْ يكونَ لِأوَّلِ السُّورةِ، والثَّلاثةُ الباقيةُ مُحْتمِلةٌ لِلتَّقْديرَيْن.

فالوَجْهانِ اللَّذانِ على تقْديرِ كونِهِ لِآخِرِ السُّورةِ: الأوَّلُ منهُما وصْلُ التَّكْبيرِ بِآخِرِ السُّورةِ، والقَطْعُ عليه، ووَصْلُ البَسْمَلةِ بِأوَّلِ السُّورةِ، والثَّاني وصْلُ التَّكْبيرِ بِآخِرِ السُّورةِ، والقَطْعُ عليهِ وعلى البَسْمَلةِ.

وأمَّا اللَّذانِ على تقْديرِ كونِه لِأوَّلِها: الأوَّلُ مِنْهُما قطْعُهُ عن آخِرِ السُّورةِ، ووَصْلُهُ بِالبَسْمَلةِ، ووَصْلُ البَسْمَلةِ بِأوَّلِ السُّورةِ، والثَّاني مِنْهُما قطْعُ التَّكْبيرِ عن آخِرِ السُّورةِ، ووَصْلُه بِالبَسْمَلةِ، والوَقْفُ على البَسْمَلةِ، ثُمَّ الابْتِداءُ بِأوَّلِ السُّورةِ.

وأمَّا الثَّلاثةُ المُحْتَمِلةُ لِكُلٍّ مِن التَّقْديريْن: فالأوَّلُ مِنْها وصْلُ الجَميعِ، أي وصْلُ التَّكْبيرِ بِآخِرِ السُّورةِ والبَسْمَلةِ بِه وبِأوَّلِ السُّورةِ، والثَّاني قطْعُ التَّكْبيرِ عن آخِرِ السُّورةِ وعن البَسْمَلةِ، ووَصْلُ البَسْمَلةِ بِأوَّلِ السُّورةِ، والثَّالِثُ قطْعُ الجَميعِ، أي قطْعُ التَّكْبيرِ عن السُّورةِ الماضيةِ وعن البَسْمَلةِ، وقطْعُ البَسْمَلةِ عن أول السُّورةِ.

ومنْ أراد تمامَ هذا الكَلامِ على هذا المَرامِ، فعَلَيْهِ ما كتبْتُهُ على تكْبيري الشَّاطِبيةِ والطَّيِّبةِ[1] في هذا المَقامِ.

([1]) في كتابَيْ «غُنية الفقير لما للطيبة من التكبير»، و«حُسن التعبير لما للحِرز من التكبير» المشار إليهما سابقا، وهما من مؤلفات الإمام الدمنهوري الموسوعي في علم القراءات.

ثم تحدث عن القراءات القرآنية وأنواعها ، فقال رحمه الله: أقسام القراءات:

أنَّ القَراءاتِ ثلاثةُ أقْسامٍ ، ومِنْها أنَّ القَراءاتِ ثلاثةُ أقْسامٍ::

– قِسْمٌ مُتَواتِرٌ بِاتِّفاقٍ مِن الفُقَهاءِ والقُرَّاءِ، وهو قِراءةُ السَّبْعةِ، وهُم: نافِعٌ[١]، وابْنُ كثيرٍ[٢]، وأبو عمْروٍ[٣]، وابنُ عامِرٍ[٤]، وعاصِمٌ[٥]، وحَمْزةُ[٦]، والكسائِيُّ[٧].

([١])نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو ريم المدني ، ولد سنة ٧٠ هجرية ، انتهت إليه رئاسة الإقراء في المدينة المنورة، وكان من كراماتهرضي الله عنه أنه إذا قرأ يشم من فيه رائحة المسك ، أخذ القراءة عن أبي جعفر القارئ ، وعن سبعين من التابعين الذين أخذوا عن ابن عباس رضي الله عنه ، وأبي هريرة رضي الله عنه وأبي بن كعب ، وأخذ عنه قالون ، وورش ، توفي بالمدينة سنة ١٦٩ هجريه. ينظر ترجمته في:غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٣٣٠/٢ وما بعدها. ومعرفة القراء الكبار ٨٩/١ .

([٢])أبو محمد عبد الله بن كثير الداري المكي ، سمي بالداري لأنه كان عطارا والعطار تسميه العرب داريا نسبة إلى دارين موضع بالبحرين يجلب منه الطيب ، ولد سنة ٤٥هجرية، وكان إمام القراءة بمكة المكرمة ، تابعي ثقة ، أخدعن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، وأبي أيوب الأنصاريرضي الله عنه ،وأنس بن مالكرضي الله عنه ، وعنه : البزي وقنبل، توفي سنة٢٥٠هجرية. ينظر ترجمته في: غاية النهاية ٤٤٣/١، ومعرفة القراء الكبار ٧١/١

([٣]) هو أبو عمرو زبان بن العلاء عمار البصري ، ولد سنة ٦٨ هجرية ، تابعي ثقة ، أخذ قراءته عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والإمام علي كرم الله وجهه ، وأبي بن كعبرضي الله عنه ، وروى عنه الدوري ، والسوسي ، توفي سنة ١٥٤ هجرية. ينظر ترجمته في غاية النهاية٢٨٨/١، ومعرفة القراء الكبار ٨٣/١، والتيسير في القراءات السبع ص٥ .

([٤]) ابن عامر : هو عبد اللَّه بن عامر بن يزيد ، أبو عمران الشامي ، أحد القراء السبعة . ولد في البلقاء من أرض الشام ، وانتقل إلى دمشق وبها كانت وفاته . روى عن أبي الدرداء ، والمغيرة بن شعبة ، وغيرهم . روى عنه يحيى بن الحارث ، وخلاَّد بن يزيدَ ، ويزيد بن أبي مالك ، وغيرهم . توفي سنة ١١٨هـ ، ينظر في ترجمته تهذيب التهذيب ٢٧٤/٥ ، و طبقات القراء ٤٣٢/١ .

([٥])عاصم بن أبي النجود بهدلة الأسدي بالولاء، أبو بكر الكوفي، أحد القراء السبعة، كان أحسن الناس صوتا بالقرآن، وله اشتغال بالحديث، توفي سنة ١٢٧هـ "مراتب النحويين ص٢٤، وفيات الأعيان ١/ ٣٠٤، غاية النهاية ١/ ٣٤٦، تهذيب التهذيب ٥/ ٣٨، ميزان الاعتدال ٢/ ٥".

([٦]) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل ، الإمام الحبر ، أبو عُمَارةَ الكوفي ، التميمي الزَّيَّات ، أحد القراء السبعة ، ولد سنة ثمانين ، أخذ القراءة عن الأعمش ، والسبيعي ، وابن أبي ليلى ، وآخرين . روى عنه خلف ، وخلاَّد ، وسُلَيم بن عيسى ، وآخرون . توفي سنة ١٥٦هـ ، ينظر في ترجمته وفيات الأعيان ٢١٦/٢، وطبقات القراء ٢٦١/١ وما بعدها ، و الأعلام ٢٧٧/٢.

([٧]) علي بن حمزة بن عبد اللَّه الأسدي ، أبو الحسن ، احد الأئمة في اللغة والنحو والقراءات وهو أحد القراء السبعة ، أهم مؤلفاته معاني القرآن ، والحروف ، والمصادر ، وما يلحن فيه العوام . توفي سنة ١٨٩هـ ، ينظر في ترجمته وفيات الأعيان ٢٩٥/٣ ، وطبقات القراء ٥٣٥/١.

– وقِسْمٌ شاذٌّ بِاتِّفاقٍ مِنْهُما، وهُو قِراءةُ الأرْبَعةِ الزَّائِدةِ عن العَشَرةِ، وهُم: ابنُ مُحَيْصِن[١]، والأعْمَشُ[٢]، والحَسَنُ البَصْرِيُّ[٣]، واليَزيدي[٤].

– وقِسْمٌ مُخْتَلَفٌ فيهِ، وهو قِراءةُ الثَّلاثةِ الزَّائِدينَ على السَّبْعةِ، وهُم: أبو جعْفَرٍ[٥]، ويَعْقُوبٌ[٦]، وخلَفٌ[٧]، فهِيَ شاذّةٌ عِنْد الفُقَهاءِ، مُتَواتِرةٌ عِنْدَ القُرَّاءِ، فمُرادي

---

(١) محمد بن عبد الرحمن السهمي المكي (..-١٢٣ه)، مقرئ أهل مكة بعد ابن كثير، وأعلم قرائها بالعربية ، انفرد بحروف خالف فيها المصحف، فترك الناس قراءته ولم يلحقوها بالقراءات المشهورة. وكان لا بأس به في الحديث. روى له مسلم والترمذي والنسائي حديثا واحدا. ينظر: غاية النهاية ٢: ١٦٧ والعبر ١: ١٥٧ وتهذيب التهذيب ٧: ٤٧٤ والتاج ٩: ١٨٠.

(٢)سليمان بن مِهران الأعمش، أبو محمد الكوفي، الإمام العلم، روى عن عبد الله بن أبي أوفى وسعيد بن جبير وغيرهما، وقرأ عليه حمزة الزيات، وروى عنه السفيانان وغيرهم، كان صاحب مُلَح ونوادر، توفي سنة (١٤٨)، ومعرفة القراء الكبار (١:٩٤ - ٩٦)، وغاية النهاية (١:٣١٥ - ٣١٦).

(٣) السيد الإمام هو الحسن بن يسار البصري أبو سعيد ، تابعي ثقة كان إمام أهل البصرة وكان من العلماء الفاقهين ، الفصحاء ، والنساك ، روي عن أبي موسي الأشعري ، والإمام علي وغيرهم كان إمام زمانه علما وعملا . ت١١٠ هـ ترجمة في طبقات القراء ٢٣٥/١ ، وفيات الأعيان ٦٩/٢ الأعلام ٢٢٦/٢ ة.

(٤) يحيى بن المبارك بن المغيرة، الإمام ابو محمد العدوي، البصري، المعروف باليزيدي، لصحبته يزيد بن منصور الحميري خال المهدي، فكان يؤدب ولده، كان نحويا، مقرئا، ثقة، علامة كبيرا، أخذ القراءة عرضا عن أبي عمرو وأخذ أيضا عن حمزة، روى القراءة عنه أولاده وأبو عمر الدوري وأبو شعيب السوسى. توفي سنة اثنتين ومائتين بمرو، غاية النهاية ٢/ ٣٧٥، والكني والألقاب ٣: ٢٥٤، والبغية: ٤١٤.

(٥) يزيد بن القعقاع المخزومي بالولاء، أبو جعفر المدني، أحد القراء العشرة، من التابعين، أخذ أخذ القراءة عرضا عن ابن عباس وعبد الله بن عياش وأبي هريرة، ويقال: قرأ على زيد بن ثابت، توفي سنة ١٣٠هـ على خلاف، ينظر: وفيات الأعيان ٢/ ٣٤٨، وغاية النهاية ٢/ ٣٨٢: وتهذيب التهذيب ١٢/ ٥٨".

(٦) يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي بالولاء، أبو محمد البصري، أحد القراء العشرة، كان من أعلم الناس بمذاهب النحاة في القرآن الكريم ووجوه الاختلاف في عصره، توفي سنة ٢٠٥هـ ، ينظر: معجم الأدباء ٧/ ٣٠٢، وغاية النهاية ٢/ ٣٨٦".

(٧) خلف بن هشام بن ثعلب أبو محمد البغدادي المقرئ البزار أحد الأعلام، له اختيار في القراءة، وهو أحد القراء العشرة، كان عابدا فاضلا توفي سنة ٢٢٩ هـ. معرفة القراء الكبار (١/ ٢٠٨) وتاريخ بغداد (٨/ ٣٢٢) وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٦٧) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٧٦).

فمُرادي بِشاذٍّ –فيما يأْتي– ما زادَ على العَشَرةِ، أو ما كانَ مِن العَشَرةِ فاقِداً لِأحَدِ الأركانِ المُتَقَدِّمةِ، إذْ لَمْ تنْحَصِرْ قِراءتُهُمْ في المُتَواتِرةِ.

وما ذكَرْتُهُ مِن القِراءاتِ فيما يأتي لِلعَشَرةِ مِن طريقِ «الطَّيِّبةِ» فهُو غنيٌّ عن القَيدِ، فهُو في غيرِه لِلإيضاحِ، وإنَّما آثَرْتُ ذلِك لِما ذكَرهُ السُّبْكيُّ[1] بِقَوْلِه: «قِراءةُ العَشَرةِ مُتَواتِرةٌ معْلومةٌ من الدِّينِ بِالضَّرورة»، وليْسَ تَواتُرُ شيءٍ مِنْها مقْصوراً على مَنْ قَرأ بِالرِّواياتِ، بل هيَ مُتَواتِرةٌ عند كلِّ مُسْلِمٍ يقولُ: «أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا الله، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً رَسولُ اللهِ»، ولو كانَ معَ ذلك عاصياً لا يحْفَظُ حرْفاً.

فما زادَ على ما ذكَرْتُهُ لا تجوزُ القِراءةُ بِه إلا لِبَيانِ أنَّهُ شاذٌّ لا تجوزُ القِراءةُ بِهِ، فاعْلَمْ ذَلِك واعْمَلْ بِه.

ومِنْ هُنا يُعْلَمُ أنَّهُ يتَعَيَّنُ على مَن يتَعاطى كُتُبَ التَّفْسيرِ أنْ يكونَ عالِماً بِالقِراءاتِ، وإلَّا اعْتَراهُ الخَطَأُ الكَبيرُ، إذْ ليسَ كُلُّ ما نُسِبَ لِهَؤلاءِ القُرَّاءِ مُتَواتِراً، موجُوداً فيهِ الأرْكانُ المُتَقدِّمةُ، خُصوصاً البَيْضَاوي[2]، وأصْلُهُ الكَشَّافُ[3]، فمَنْ

([1]) هو عبد الوهاب بن علي السبكي، قاضي القضاة، تاج الدين (٧٢٧-٧٧١ ه). مؤرخ وفقيه، نسبته إلى سُبك من أعمال المنوفية بمصر، وانتهى إليه قضاء القضاة في الشام. من تصانيفه «طبقات الشافعية الكبرى»، و«معيد النعم ومبيد النقم»، و«الأشباه والنظائر» ينظر: جلاء العينين ١٦ والدرر الكامنة ٢: ٤٢٥ وحسن المحاضرة ١: ١٨٢.

([2]) تفسير الإمام البيضاوي، المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، والإمام البيضاوي هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو الخير، القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي ، أهم مصنفاته: الطوالع والمصباح في أصول الدين ومختصر الكشاف في التفسير المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل ، وله شرح المصابيح في الحديث ، وغيرها ، توفي سنة ٦٨٥هـ ، ينظر في ترجمته: وفيات الأعيان ٢٩/١ ، وطبقات المفسرين للأندروي٢٥٤/١

([3]) تفسير «الكشاف» للإمام الزمخشري محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المفسر الملقب بجار الله لأنه جاور بمكة زمانا ، قال ابن خلكان كان إمام عصره وكان متظاهرا بالاعتزال ، أهم مصنفاته: الكشاف في التفسير والفائق في غريب الحديث وأساس البلاغة وربيع الأبرار ونصوص الأخبار في الحكايات ومتشابه أسماء الرواة والرائض في الفرائض والمنهاج في الأصول والمفصل في النحو وغير ذلك وقد كانت وفاته سنة ٥٣٨هـ. ينظر في ترجمته: طبقات المفسرين للسيوطي١٠٤/١ ، وفيات الأعيان ١٦٨/٥.

تعاطى واحِداً مِنْهُما معَ عدمِ إتْقانِهِ نحْوَ ثلاثينَ عِلْمَا، مُرْتَكِبٌ لِلاعْتِسافِ[1]، ولولَا ضيقُ الزَّمانِ لبَيَّنْتُ ذلِكَ غايةَ البَيانِ.أ هـ. [2]

كل هذه القضايا مسها الشيخ الدمنهوري . رحمه الله مسا رقيقا بأسلوب سهل وميسر أدى المعنى المطلوب بأوجز العبارات وأجزلها.

ثم تناول الشيخ تفسير السور المباركة من أول سورة (الضحى) إلى آخر سورة (الناس) بالتفسير التحليلي ، فنراه في بداية كل سورة يتحدث عن مكية السورة أو مدنيتها ، وهل فيها نسخ أم لا ؟ وعدد آياتها وكلماتها وحروفها ، ثم يشرع في التفسير فيبين معاني الألفاظ الغريبة في السورة ، وإعراب المشكل من كلماتها ، ثم يفسر الآيات تفسيرا تحليليا بقدم راسخة ، معتمدا على مصادر التفسير الأصيلة المأثورة والمعقولة ، مما يتجلى لنا الفتح الرباني والفيض الرحماني من أنوار تجلياته وبحور علومه على كلماته المباركة ، ثم يختتم الشيخ تفسير كل سورة فيذكر ما جاء فيها من قراءات على وجه الإجمال وينبه دائما على القراءات الشاذة منها ، وعلى سبيل المثال ، ما ذكره الشيخ رحمه الله في تفسير سورة (الضحى) فقال رحمه الله: **سورة «والضحى»**

مكِّيّةٌ ومُحْكَمةٌ، ليس فيها ناسِخٌ ولا منْسوخٌ، وقيلَ مدَنيّةٌ، وآيُها إحدى عشرةَ، وكلِماتُها أربعون، وحروفُها مائةٌ واثنان وسبعون.

المبادئ (معاني الألفاظ):

١- **سجى:** سكَنَ واستوتْ ظُلْمتُهُ.

٢- **آوى:** ضمَّ.

٣- **ودعك:** تركَكَ.

---

(١) الظلم أو السير على غير هُدى، يقال «اعتسف فلانا» ظلمه، و«اعتسف الطريق» سار فيه على غير هدى.

(٢) ينظر: الفيض العميم ص٢٢ .

٤- **عائلا:** فقيرا.

٥- **قلى:** أبْغَضَ.

٦- **تنْهَر:** تزْجُرْ.

اللواحق (إعرابُ المُشْكِلِ):

٧- **الضُّحى:** مُقْسَمٌ به أو بِمُضافٍ محْذوفٍ، أي: وربِّ الضُّحى، ويُقاسُ بذلِك كُلُّ ما وقَعَ فيه القَسَمُ بغيرِ الله تعالى.

٨- **ألَمْ يجِدْكَ يتيما:** الكافُ و«يتيماً» مفعولان لـ «يجد»، ومِثْلُه «ووجدَكَ ضالا» و«وجَدَكَ عائلا» على أنَّ «يجِد» بمعنى «يعْلَم»، فإنْ كانت بِمعنى «يُصادِف» فـ «يتيما» حالٌ كاللذَيْن بعدَه.

٩- **وما قلى:** المَفْعولُ محذوفٌ، أي وما قلاكَ، أي ما أبْغَضَكَ، كحَذْفِهِ مِنَ «والذَّاكِرات» في قولِه: { وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ}[1] يُريدُ «والذاكِراتِهِ» أي الله، ولا يُسْتَعمَلُ «ودَّعَكَ» إلا بالتَّشديد، وأما بِالتَّخفيفِ قال سيبويه: «استَغْنوا عنه بِتَرْكٍ»، ومِثْلُه «فآوَى»، «فهَدَى»، «فأَغْنى»، وهو اختِصارٌ لفظيٌّ لِظُهور المحْذوفِ، ولِموافَقةِ رؤوسِ الآي.

١٠- **ولسَوْفَ يُعطيكَ:** اللّامُ لِلابتِداءِ مُؤكِّدةٌ لِمضْمونِ الجُمْلةِ، والمُبتَدَأُ محذوفٌ تقديرُهُ «ولأنْتَ سوف يُعطيك»، لا لِلقَسَم، لِأنَّ لامَ القسَمِ لا تدْخُلُ على المُضارِعِ إلا مع نونِ التَّوكيدِ، ومِثلُهُ «**ولَلآخِرةُ خيْرٌ**»، ومفعولُ «يُعطي» الثَّاني محْذوفٌ، والتَّقديرُ «يُعطيكَ ما تُريد»، أو «عطاءً جزيلاً» ونحوَ ذلك.

١١- **فأمَّا اليَتيمَ فلا تقْهَرْ:** «اليتيمَ» نُصِبَ بـ «تقهَرْ» وحقُّهُ التَّأخيرُ بعدَ الفِعْلِ، وتقْديرُهُ «مهْما يكُنْ مِن شيءٍ فلا تقْهَرِ اليتيمَ»، ومِثْلُهُ «**وأما السَّائِلَ فلا تنْهَرْ**» ولو كانَ معَ «تَقْهَر» و«تنْهَرْ» هاءٌ لكان الاختيارُ في «اليتيم» و«السائِل» الرَّفْعَ، ويجوزُ النَّصبُ، ولا يجوزُ مع حذْفِ الهاءِ إلا النَّصبُ.

(١) سورة الأحزاب - من الآية ٣٥.

١٢- **وأمَّا بِنِعمةِ ربِّكَ فحَدِّثْ:** الباءُ مُتعلِّقةٌ بـ «حدِّثْ» وتقديرُها أنْ تكونَ بعدَه، والتَّقديرُ «مهْمَا يكُنْ مِن شيءٍ، فحَدِّثْ بِنِعْمةِ ربِّكَ»، ولا تمْنَعُ الفاءُ مِن ذلِكَ لِأنَّها كالزَّائِدة.

المقاصد (تفسيرُ الآياتِ):

﴿**بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ**﴾: هي آيةٌ مِن كُلِّ سورةٍ عِندَ الشَّافِعيِّ سِوى «براءة»(١)، وعِند أبي حنيفةَ ومالِكٍ وأحمدَ ليستْ آيةً مِن كل سورةٍ، بلْ هي فاصِلةٌ بينَ السُّورتينِ. وحاصِلُ ذلِكَ أنَّها ثلاثةُ أقسامٍ: قِسْمٌ مُتَّفَقٌ على أنَّه مِن القُرآنِ، وهي آيةُ النَّمْلِ(٢)، وقِسْمٌ مُتَّفَقٌ على أنَّه ليس مِنه، وهو بسْمَلةُ «براءة»، ولِذلِك كُرِهَتْ في أوَّلِها، وقِسْمٌ مُختَلَفٌ فيه، وهو ما عدا ذلِك.

وأمَّا عندَ القُرَّاءِ فقدْ بسْمَلَ الكُلُّ في أوَّلِ كلِّ سورةٍ سِوى «براءة»، وفي أثنائِها -كغيرِها- يُخيَّرُ القارِئُ(٣)، وبسْمَلَ بين السُّورتين قالون وابنُ كثير وعاصِمٌ والكَسائيُّ وأبو جعفر بِلا خِلافٍ عن واحِدٍ منهم، وكذا الأصْبهانيُّ عن وَرْش، وأمَّا حمْزةُ فقد وصَلَ بين السورتين، فالقُرآنُ عندَه كسُورةٍ واحِدةٍ. وقرأَ ورشٌ مِن طريقِ الأزرَقِ، وأبو عُمرَ وابنُ عامِرٍ ويعقوبُ بِالأوْجُهِ الثَّلاثةِ: البَسْمَلةِ وعَدَمِها معَ السَّكْتِ وعَدَمِه، وعنْ خلَفٍ السَّكْتُ والوَصْلُ مِن غيرِ بَسْمَلة، وتمامُ الكلامُ عليها في رِسالتِنا «كشفُ اللِّثامِ عن مُخْدَراتِ الأفْهام»(٤).

{ وَالضُّحَى* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} في «الضُّحى» وجهانِ: أحدُهُما: أنَّ المُرادَ بِه وقتُ الضَّحى، وهو قَدْرُ النَّهارِ حين ترتَفِعُ الشَّمْسُ وتُلْقي شُعاعَها ويعْتَدِلُّ النَّهارُ

(١) أي سورة التوبة.
(٢) في قوله تعالى: (إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) [سورة النمل - الآية ٣٠].
(٣) أي في أثناء سورة «براءة»: في وسطها (أي بعد أول آية منها): حكم البسملة فيها مثل حكمها في غير براءة: يخير القارئ بين أن يبسمل أو لا يبسمل.
(٤) «كشفُ اللِّثامِ عن مُخدرات الأفهام في البسملة والحمدلة»، أحد مؤلفات الإمام الدمنهوري. وينظر: البدور الزاهرة صـ ١٤. وتحبير التيسير صـ ١٨٤.

في الحَرِّ والبَرْدِ في الصَّيْفِ والشِّتاءِ.. وثانيهما: هو النَّهارُ كُلُّهُ بِدليلِ مُقابلتِه باللليلِ كُلِّه، وهو مُدّةُ كونِ النيِّرِ الأعظَمِ على الأُفُقِ، و«الليلُ» مدّةُ كونِه تحتَه.

و«سجَى»: سكَنَ وركَدَ ظلامُهُ، وقيل «ليلةٌ ساجيةٌ»: ساكِنةُ الرِّيحِ، و«سجَى البحْرُ»: سكَنَتْ أمواجُهُ.. ولِسُكونِهِ معْنيانِ: أحدُهُما: سُكونُ النَّاسِ فيه، فنُسِبَ إليه؛ كما يُقالُ «ليلٌ نائِمٌ» و«نهارٌ صائِم»..

ثانيهما: استِقْرارُ ظلامِهِ واستِواؤُه فلا يزْدادُ بعدَ ذلِكَ، وأقبلَ بِظلامِه أو غطَّى بِظلامِه الآنامَ، وهذه المَعاني مُتَقارِبة. وفي ابنِ ظفر: وأمَّا قولُ مُقاتِل «غطَّى ضوءَ النَّهارِ بِظُلْمتِه» فهذا مجازٌ، لِأنَّ كونَ الاعتِراضِ في الجواهِرِ باطِلٌ، فإنَّه يقتضي اجتِماعَ الضِّدَّيْن في محلٍّ مُتَّحِدٍّ، ولِأنَّ فيه تجويزَ قيامِ المعاني المُقتَضيةِ لِلأحكامِ قياسا، وهذا يُؤدِّي إلى التَّسلْسُلِ، على أنَّ ظاهِرَ لفظِ مُقاتِل كمونُ الأعراضِ في الأرضِ، وهذا أبْطَلُ الباطِلِ، ولكِنَّه تجَوَّزَ وعنى بِالتَّغْطيةِ الإبْطالَ والإذْهاب.

فإنْ قيل: ما الحِكْمةُ في تقديمِ اللَّيلِ في السورةِ الماضيةِ[1] وتأخيرِهِ في هذه السورةِ؟ فالجوابُ أنَّ تقديمَ اللَّيلِ في السورةِ المُتَقدِّمةِ باعتِبارِ الأصالةِ، وتقْديمَ النَّهارِ هُنا بِاعتِبارِ الشَّرَفِ، ولأنَّ بالليلِ والنَّهارِ تنْتَظِمُ مصالِحُ المُكَلَّفين، ولِلَّيلِ فضيلةُ السَّبْقِ بِقولِه تعالى: { وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}[2]، ولِلنَّهارِ فضيلةُ النُّور، فلمَّا كانَ لكل واحِدٍ فضيلةٌ ليستْ في الآخَرِ قدَّم هذا على ذاك تارةً، وذاك على هذا أُخرى، ونظيرُهُ أنَّ الله تعالى قدَّمَ السُّجودَ على الرُّكوعِ في قولِه تعالى: ﴿ٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي﴾[3]، ثمَّ قدَّمَ الرُّكوعَ على السُّجودِ في قولِه: ﴿ٱرْكَعُواْوَٱسْجُدُواْ﴾[4].

---

(١) أي تقديمه على النهار في قوله تعالى: (وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ) [سورة الليل - الآيتان ١ و٢].

(٢) سورة الأنعام - من الآية ١

(٣) سورة آل عمران - من الآية ٤٣

(٤) سورة الحج - من الآية ٧٧ ، ذكر الفخر الرازي رحمه الله في تفسيره حكمتين الأولى: أنه تعالى قدم الليل مع النهار في سورة الليل لأن السورة تتحدث عن سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وهو مسبوق بكفر، وفي سورة الضحى وهي تتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قدم النهار لأنه صلى الله عليه وسلم ما سبقه ذنب.

فإنْ قيلَ: ما الحِكْمةُ في القَسَمِ بِالضُّحى والليلِ فقَطْ؟ فالجوابُ: كأنَّه تعالى يقولُ: الزَّمانُ ساعتان، فساعةُ ليلٍ وساعةُ نهارٍ، ثم تارةً تزدادُ ساعاتُ الليلِ وتنْقُصُ ساعاتُ النَّهارِ، وتارةً بِالعَكسِ، بِحَسبِ حُلولِ الشَّمسِ في البُروجِ الجَنوبيةِ والشَّماليةِ في الآفاقِ، فلا الزيادةُ لِهوىً ولا النَّقْصُ لِقِلىً، بلْ لِحِكْمةٍ.

كذا الرِّسالةُ وإنزالُ الوحي بِحَسبِ المَصالِحِ، فمرةً إنزالٌ ومرةً حبْسٌ، فلا الإنزالُ عن هوى ولا الحَبْسُ عن قِلى، وكأنَّه سُبحانه يقولُ: انْظُروا إلى جِوارِ اللَّيلِ مع النَّهارِ، لا يسْلَمُ أحدُهُما مِن الآخَرِ، بلِ الليلُ تارةً يغلِبُ وتارةً يُغلَبُ، فكيْفَ يُطمَعُ أن يُسْلَمَ مِنَ الخَلْقِ. ولِأَنَّ الضُّحى وقتُ الاستِئْناسِ بِاجتِماعِ النَّاسِ بعدَ الاستيحاشِ في زمانِ الليلِ، فبَشَّرَهُ أنَّ بعدَ استيحاشِكَ بِسبَبِ احتِباسِ الوحيِّ، يظْهَرُ ضُحى نُزولِهِ، وخَصَّ الضُّحى بِالذِّكْرِ لِأنَّها الساعةُ التي كلَّمَ فيها موسى ش ربَّه عزَّ وجل، وأُلْقِيَ فيها السَّحَرةُ سُجَّدا، فاكْتَسب الزَّمانُ صِفةَ الفضيلةِ لِكوْنِه ظَرفا، فكيفَ فاعِلُ الفضيلةِ، وأفادَ أنَّ الذي أكرَمَ موسى لا يدَعُ إكرامَك، والذي قلَبَ قُلوبَ السَّحَرةِ فسِجَدوا، يقْلِبُ قُلوبَ أعدائِك.

وفي ذِكْرِ الضُّحى وهو ساعةٌ مِن النَّهار، وذِكْرُ الليلِ بِكُليَّتِه إشارةٌ إلى أنَّ ساعةً مِن النَّهارِ تُوازي جميعَ الليلِ، كما أنَّ مُحمَّداً ﷺ إذا وُزِنَ يوازي جميعَ الأنبياءِ، وأنَّ النَّهارَ وقتُ السُّرورِ والراحةِ، والليلَ وقتُ الوَحْشةِ والغَمِّ، فإنَّ الضُّحى ساعةٌ واللَّيلُ ساعات. وفي الضُّحى إشارةٌ إلى إقبالِ الإسْلامِ بعدَ أنْ كان غريبا، وفي اللَّيلِ إشارةٌ إلى أنه سيَعودُ غريبا.

{ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}: جوابُ القسَمِ، ومعْناهُ ما قطَعَكَ قطْعَ المُوَدِّعِ، والتَّوديعُ مُبالَغةٌ في الوَدْعِ، لِأنَّ منْ ودَّعَكَ مُفارِقا فقدْ بالَغَ في تركِكَ، وما قلاكَ أي ما أبْغَضَكَ، أي ما تركَكَ ربُّكَ مُنْذُ اخْتارَكَ ولا أبْغَضَكَ مُنْذُ أحبَّكَ، وقيل معناه: وما

قلى أحَدا مِنْ أصْحابِكَ ومَنْ هو على دينِكَ إلى يوْمِ القيامةِ. وقُرِئَ شاذاً بِالتَّخفيفِ[١]، أي: ما تركَكَ.

وسبَبُ نُزولِ هذِهِ السّورةِ مُخْتلَفٌ فيه، فقيلَ سبَبُهُ أنَّ الوَحْيَ قدْ تأخَّرَ عنْ رسولِ الله ﷺ أيّاما، فقال المُشْرِكون إنَّ مُحَمدا قدْ ودَّعَهُ ربُّهُ وقلاه[٢]، وقيلَ إنَّ أُمَّ جميلٍ امْرأةَ أبي لهَبٍ قالت: «يا مُحمَّدُ، إنّي لأرْجو أنْ يكونَ شيْطانُكَ قدْ تركَكَ، لمْ أرَهُ قرُبَكَ ليْلَتين أو ثلاثا» حينَ اشتكى رسولُ اللهِ ﷺ ولَمْ ينَمْ ليْلَتين أو ثلاثا[٣]، وقيل إنَّ اليهودَ سألَت رسولَ الله ﷺ عنِ الرُّوحِ وعن ذي القَرْنَيْنِ وأصحابِ الكهْفِ، فقالَ: «سأُخْبِرُكُم غدا»، ولمْ يقُلْ إن شاءَ الله، فاحْتُبِسَ الوحيُّ عليه[٤]، وقيلَ إنَّ جرْوا كان في بيتِه، فلَمّا نزلَ[٥] عليه عاتَبَهُ رسولُ الله ﷺ على إبطائِه، فقالَ: إنّا لا ندْخُلُ بيتا فيه كلْبٌ ولا صورة[٦].

واخْتَلَفوا في مُدّةِ احْتِباسِ الوحْيِّ عنْه، فقيل: اثْني عشْرَ يوْما، وقيل خمْسةَ عشْرَ يوما، وقيل: أربعين يوما، فلمّا نزَلَ جِبريلُ عليه السَّلامُ، فقال النبيُّ ﷺ: يا جِبريلُ، ما جِئْتَ حتّى اشْتقْتُ إليك، فقال جِبْريلُ: إنّي كُنْتُ إليكَ أشَدَّ شوْقا، ولَكِنِّي عبْدٌ مأمورٌ، ونزل: { وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ }[٧]، وأنْزَلَ الله هذه السّورة[٨].

---

(١) ما وَدَعَك، بتخفيف الدال وهي قراءة عروه بن الزبير وهشام بن حيوة ومقاتل قال ابن جني: هذه قليلة الاستعمال ينظر: المحتسب لابن جني ٢/ ٣٦٤.
(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٢٤/ ٤٨٦.
(٣) أخرجه الطبراني ٢/ ١٧٣/ ١٧٠٩ بسند صحيح عن شعبة.
(٤) ذكره الطبري في تفسيره ٢٤/ ٤٨٦، والخازن في تفسيره ٤/ ٤٢٧.
(٥) أي جبريل بالوحي.
(٦) قاله زيد بن أسلم كما ذكر الخازن في تفسيره ٤، ٤٢٧، وأصح ما جاء في سبب النزول ما أخرجه البخاري في صحيحهما عن جندب البجلي رضي الله عنه قال: احتبس جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقالت امرأة من قريش: أبطأ عليه شيطانه فنزلت "والضحى والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى". صحيح البخاري ك: أبواب التهجد/ ب: ترك القيام للمريض/ ١٠٧٣.
(٧) سورة مريم - من الآية ٦٤
(٨) الكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ٢٢٣، ولباب التأويل للخازن ٧/ ٢٥٧.

{ وَلَلْآخِرَةُ } أي التي هيَ المقْصودةُ مِن الوجودِ بِالذّاتِ { خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى } لِأنَّها باقيةٌ صافيةٌ عن الشَّوائِبِ على الإطْلاقِ، وهذه فانيةٌ مَشوبةٌ بِالمَضارِّ، وما أوتي ﷺ مِنْ شرَفِ النُّبوّةِ، وإنْ كان لا يُعادِلُه شرَفٌ ولا يُدانيهِ فضْلٌ لكِنَّهُ لا يخْلو في الدُّنْيا مِن بعضِ العَوارِضِ القادِحةِ في تمشية[1] الأحْكامِ، لِأنَّ في الدُّنْيا الكُفّارَ يطْعَنون فيك، وأمّا في الآخِرةِ فأجْعَلُ أمَّتَكَ شُهداء على الأُمَمِ، وأجْعلُكَ شهيدا على الأنبياء، ثُمَّ أجعَلُ ذاتي شهيدا لكَ، كما قال تعالى: { **وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا * مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ** }[2]، أي الذي أعطاكَ ربُّكَ في الآخِرةِ خيرٌ لكَ وأعظَمُ مِن الذي أعطاكَ في الدُّنيا. قال ش: (إنّا أهلُ بيْتٍ اختارَ اللهُ لنا الآخِرةَ على الدُّنيا)[3].

فإنْ قيلَ: كيْفَ اتَّصَلَ قولُه { وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى } بِما قبْلَه؟ قيل: لمّا كانَ ما في ضِمْنِ نفْي التَّوديعِ والقِلى أنَّ اللهَ مُواصِلُكَ بِالوحي إليكَ وأنَّكَ حبيبُ اللهِ، حصَلَ له تشْريفٌ عظيمٌ فاسْتَعظَمَه، فقيل له إنَّكَ لتَرى كرامةً أعْظَمَ مِن ذلكَ وأجَلّ، وهو السَّبْقُ والتَّقَدُّمُ على جميعِ أنبياءِ الله ورسُلِه، وشهادةُ أمَّتِهِ على سائِرِ الأُمَمِ، ورفْعُ درجاتِ المُؤمِنين، وإعلاءُ مراتِبِهِم، وشفاعَتُهُ، وغيرُ ذلك مِنَ الكَراماتِ السَّنيّةِ، وأيضا إنَّما كانتْ الآخِرةُ خيْرا لك لِأنَّك اشْتَرَيْتَها، والدُّنْيا ليْسَت لك، فعلى تقديرِ لو كانتِ الآخِرةُ أقلَّ مِنَ الدُّنيا لكانتِ الآخِرةُ خيْرا لك، لِأنَّ مملوكَك خيْرٌ لك مِمّا لا يكونُ ممْلوكا لك، فكيْفَ ولا نِسْبةَ لِلدُّنيا إلى الآخِرة.

وقيلَ المُرادُ بِالآخِرةِ عاقِبةُ أمْرِهِ ﷺ، أيْ: لنِهايةُ أمْرِك خيْرٌ لك مِن بِدايتِه، لأنَّه لا يزالُ صاعِدا في مدارِجِ الكَمالِ، إذ ما مِن آنٍ[4] هو فيه إلّا وشأنُهُ فيه أعْظَمُ مِنه فيما قبْلَه، وقيَّدَ سُبحانه وتعالى بِقولِه «لك»، لا «لكُم» لِأنَّها ليسَت خيرا لِكُلِّ

(١)أي إنفاذ.
(٢)سورة الفتح - من الآيتين ٢٨ و٢٩
(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٤) أي وقت.

أحَدٍ، لأنَّه كان في جماعَتِهِ مَنْ كانتِ الآخِرةُ شرّا له، فلو أنّه سُبْحانَه عمَّمَ لكان كَذِبا، ولو خصَّصَ المُطيعين بِالذِّكْرِ لافْتُضِحَ العُصاةُ، ولِهذا قال موسى: { **كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** }[1]، وأمّا سيِّدُنا محمد ﷺ لمّا كان معَهُ مَن هو مِن أهْلِ السَّعادةِ قطْعا، قال: **{إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}** [2] إذْ لمْ يكُنْ ثمَّتَ إلا نبيٌّ وصِدِّيق ، ورُوي أنَّ موسى عليه السَّلامُ خرَجَ للاستِسْقاءِ ومعَه الألوفُ ثلاثةَ أيّامٍ، فلَمْ يجِدوا الإجابةَ، فسألَ موسى عليه السَّلامُ عن سبَبِ عدَمِ الإجابةِ فأُجيبَ بـ: «لا أُجيبُكَ ما دامَ معَك ساعٍ بِالنَّميمةِ»، فقال موسى: «منْ هو؟» فقالَ: «إنّي أُبْغِضُه فكيفَ أعْمَلُ عمَله»، فما مضَت مُدّةٌ قليلةٌ، حتى نزَلَ الوَحي بِأن ذلك النَّمامَ قد مات، وهذه جنازتُه في مُصَلّى كذا، فذهَبَ موسى إلى ذلك المُصَلّى فإذا فيها سبعون مِن الجنائزِ.[3] فهذا سِتْرُ الله على أعداءِ الله، فكيفَ على أوليائِه، وفيه إشارةٌ إلى فضيلةِ هذه الأُمّةِ، حيثُ يُردُّ الألوفُ مِن غيرِها لِمُذْنِبٍ واحِدٍ، وهُنا يرْحَمُ الله المُذنِبين لِمُطيعٍ واحِدٍ[4].

قال في «المُناسَباتِ»[5]: وقدْ أفْهَمَ ذلِكَ أنَّ النّاسَ على أربْعةِ أقْسامٍ: مِنهُم منْ لهُ الخَيْرُ في الدّارَيْن، وهُم أهلُ الطّاعةِ الأغنياءُ، ومِنهُم منْ له الشَّرُّ فيهِما، وهم الكَفَرةُ الفُقَراءُ، ومِنهم منْ له صورةُ خيرٍ في الدُّنيا وشَرٍّ في الآخِرةِ وهُم الكَفَرةُ الأغْنياءُ، ومِنهُم من لهُ صورةُ شَرٍّ في الدُّنيا وخَيْرٍ في الآخِرةِ وهُم المؤمِنون الفُقَراءُ[6].

---

(١) سورة الشعراء - من الآية ٦٢
(٢) سورة التوبة - من الآية ٤٠
(٣) ذكره الرازي في تفسيره ٣١/ ١٩٨ والنيسابوري في غرائب القرآن ٦/ ٥١٦ وهو من الإسرائيليات.
(٤) مفاتيح الغيب ٣١/ ١٩٨.
(٥) القائل هو الإمام برهان الدين أبو الحسن البقاعي.
(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٨/ ٤٥٦.

ولمّا ذكَرَ سُبحانَه الدُّنيا والآخِرةَ، ذكَرَ ما يشْملُهُما مِمّا زادَهُ مِن فضْلِهِ، فقال مُصَدِّرا بِحرْفِ الابْتِداءِ[1] تأكيدا لِلكَلامِ، لِأَنَّهُم يُنكِرونهُ، وضمَّ هذه اللام إلى كلِمةِ التَّنْفيس[2] لِلدِّلالةِ على أنَّ العَطاءَ وإنْ تأخَّرَ لِحِكْمةٍ؛ كائِنٌ لا مَحالة – :[3]

{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}: أي غايةَ الرِّضى لِأنَّه دائِماً في مقامِ الرِّضى، ووجهُ اتِّصالِه بِما قبْلَه هو أنَّه تعالى لمَّا بيَّنَ أنَّ الآخِرةَ خيْرٌ لَه مِن الأولى، ولكِنَّه لمْ يُبيِّنْ أنَّ ذلِكَ التَّفاوتَ إلى أيِّ حدٍّ يكونُ، فبَيَّنَ بِهذِه الآيةِ مِقْدارَ ذلِكَ التَّفاوتِ، وهو أنَّه ينْتَهي إلى غايةِ ما يتَمنَّاه الرَّسولُ ويرْتَضيهِ.[4]

وهذه عِدةٌ كريمةٌ شامِلةٌ لِما أعْطاه اللهُ تعالى في الدَّنيا، مِن كمالِ النَّفْسِ وعُلومِ الأوَّلينَ والآخِرين، وظهورِ الأَمْرِ وإعْلاءِ الدِّينِ بِالفُتوحِ الواقِعةِ في عصْرِه ﷺ وفي أيَّامِ الخُلَفاءِ الراشِدين وغيرِهِم مِن المُلوكِ الإسْلاميّةِ، وفُشُوِّ الدَّعْوةِ والإسْلامِ في مشارِقِ الأرْضِ ومغارِبِها، ولِما ادَّخَرَ له مِن الثَّوابِ الذي لا يعْلَمُ كُنْهَه إلا اللهُ تعالى.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: «له في الجِنّةِ ألْفُ قصْرٍ مِن لؤلؤٍ أبْيَضٍ، تُرابُهُ المِسْكُ»[5]، وقال ابنُ عباسٍ: هي الشَّفاعةُ في أمَّتِهِ حتّى يرْضى، روى مُسْلِمٌ عن عبدِ الله ابنِ عمرو بنِ العاصِ (أنَّ النبيَّ ﷺ رفَعَ يدَيْهِ وقالَ: اللَّهُمَّ أُمَّتي أُمَّتي، وبكى، فقالَ اللهُ: يا جِبْريلُ اذْهَبْ إلى مُحمَّدٍ واسْأَلْه ما يُبْكيكَ، وهو يعْلَمُ، فأَتى جِبْريلُ وسأَلَه فأَخْبَرهُ رسولُ الله ﷺ بِما قالَ، وهو أعْلَمُ، فقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: يا جِبريلُ اذْهَبْ

(١) أي لام التوكيد.
(٢) أي كلمة «سوف».
(٣) المرجع السابق.
(٤) مفاتيح الغيب ٣١/ ٢٠٠.
(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣٤٤٣، والطبري في جامع البيان ٢٤/ ٤٨٧، وقال: إسناده صحيح إلى ابن عباس ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف، والسيوطي في الدرر المنثور ١٥/ ٤٨٤.

إلى مُحمَّدٍ وقُلْ له إنّا سنُرضيكَ في أُمَّتِكَ ولا نسوؤك)[1]. وعَنْ أبي هُرَيْرةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَ ﷺ قالَ: (لِكُلِّ نبيٍّ دعْوةٌ مُسْتجابةٌ، فتَعَجَّلَ كُلُّ نبيٍّ دعْوتَه، وإنّي أخْبَأْتُ دعْوتي شفاعَتي لِأُمَّتي يوْمَ القيامةِ، فهي نائِلةٌ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مَنْ ماتَ مِنْ أُمَّتي لا يُشْرِكُ بالله شيْئا)[2]. وقيلَ حمْلُ الآيةِ على ظاهِرِها -خيْرَي الدُّنيا والآخِرةِ معا- أوْلى.

قالَ حرْبُ بنُ سُرَيْح[3]: سَمِعتُ جعفرَ بنَ مُحمَّدِ بنِ عليٍّ[4] يقولُ: إنَّكُمْ يا معْشَرَ أهْلِ العِراقِ تقولون: أرْجى آيةٍ في القُرآنِ **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}** [5]، وإنّا أهْلُ البَيْتِ نقولُ: أرْجى آيةٍ في كِتابِ اللهِ **{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}** ، وعنْ عليٍّ رضي الله عنه: إنَّها أرجى آيةٍ في القُرآن لِأنَّه ﷺ لا يرْضى وأَحَدٌ مِن أُمَّتِهِ في النَّارِ[6].

قالَ في «المُناسَباتِ»: وقدْ أفْهَمَتِ العِبارةُ أنَّ الناسَ أرْبَعةُ أقْسامٍ: مُعطَى راضٍ، وممنوعٌ غيرُ راضي، ومُعطَى غيرُ راضي، وممْنوعٌ راضٍ[7].

قال الفَخْرُ: وها هُنا سؤالات:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الإيمان/ ب: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته وبكائه شفقة عليهم/ ٢٠٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الإيمان/ ب: اختبار النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته/ ١٩٩، وكان لكل نبي دعوة منحة من الله عز وجل يعلم كل نبي أنها مجابة لا محالة، وبقيت دعواته موقوفة على باب الرجاء فدعى كل نبي بدعوته في الدنيا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر هذه الدعوة لأمته يوم القيامة حرصا على الأمة وحبا لها صلى الله عليه وسلم.

(٣) السواب بن سريح بالسين، وهو حرب بن سريح المنقري البزار التميمي، يخطئ كثيرا حتى خرج عن حد الاحتياج به إذا انفرد – المجروحين لابن حبان ١/ ٢٦١/ ٢٦٠.

(٤) جعفر بن محمد بن علي القرشي الهاشمي الإمام الصادق شيخ بني هاشم العلوي النيوي المدني، تابعي، أدرك سيدنا أنس، وسهل بن سعد، وتتلمذ على يديه الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، قال عمرو بن أبي المقدام: إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين، توفي سنة ١٤٨ ه/ سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٢٤/ ١١٧، التاريخ الكبير للبخاري ٢/ ٢١٨٣.

(٥) سورة الزمر - من الآية ٥٣

٦) الدرر المنثور ١٥/ ٤٨٥، ومعالم التنزيل ٨/ ٤٥٥.

(٧) نظم الدرر ٨/ ٤٥٦.

السُّؤالُ الأوَّلُ: لِمَ لَمْ يقُلْ «يُعطيكُم» معَ أنَّ هذه السَّعاداتِ حصَلَت لِلمؤمِنين أيْضا؟

الجوابُ: لِوجوهٍ، أحَدُها: أنَّه المَقْصودُ، وهُمْ أتْباعٌ، وثانيها: إني إذا أكْرَمتُ أصْحابَك فذاكَ في الحَقيقةِ إكْرامٌ لكَ، لِأنِّي أعْلَمُ أنَّكَ بلَغتَ في الشَّفَقةِ علَيْهِم إلى حيثُ تفْرَحُ بِإكْرامِهِم فوقَ ما تفْرَحُ بِإكْرامِ نفْسِك، ومِن ذلكَ حيثُ تقولُ الأنبياءُ «نفْسي نفْسي»، أي ابْدَأ بثوابي وجَزائي قبلَ أُمَّتي لِأنَّ طاعَتي كانتْ قبْلَ طاعةِ أُمَّتي، فالرَّسولُ يقولُ «أُمَّتي أُمَّتي» ابْدَأ بِهِم، فإنَّ سُروري أنْ أراهُم فائِزين بِثوابِهم. وثالِثُها: إنَّكَ عاملْتَني مُعامَلةً حسَنة، فإنَّهُم حين شجُّوا وجْهَكَ قُلتَ «اللَّهُمَّ اهْدِ قومي»، وحينَ شغَلوكَ يومَ الخَنْدَقِ[1] عنِ الصَّلاةِ قُلتَ «اللَّهُمَّ امْلأ بُطونَهُم نارا»، فتحَمَّلْتَ الشَّجّةَ الحاصِلةَ في وجْهِ جسَدِك، وما تحَمَّلْتَ الشَّجّةَ الحاصِلةَ في وجْهِ دينِك، فإنَّ وجْهَ الدينِ هو الصَّلاةُ، فرجَّحتَ حقِّي على حقِّكَ، لا جرَمَ فضَّلْتُكَ، فقُلْتُ مَنْ تركَ الصَّلاةَ سِنين أو حُبِسَ عنِ الصَّلاةِ سنينَ لا أُكَفِّرُه، ومَن أذى شعْرةً مِن شعراتِكَ أو جُزءاً مِن نعْلِكَ كفَّرْتُه.

السُّؤالُ الثاني: ما الفائِدةُ في قولِه «ولسوفَ» ولمْ يقُلْ «وسَيُعطيكَ ربُّكَ»؟

الجوابُ: فيهِ فوائِدٌ، أحدُها: أنَّهُ يدُلُّ على أنَّه ما قرُبَ أجَلُهُ، بل يعيشُ بعْدَ ذلك زماناً، وثانيها: إنَّ المُشْرِكين لمَّا قالوا: «ودَّعَهُ وقَلاه»، فاللهُ تعالى ردَّ عليهِم نفْسَ ذلِكَ اللَّفْظِ فقال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾، ثمَّ قالَ المُشْرِكون: «سوفَ يموتُ مُحمَّدٌ»، فردَّ اللهُ عليهِم ذلِكَ بِهذِه اللفْظةِ فقالَ: **{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}**

السؤالُ الثالثُ: كيفَ يقولُ اللهُ **{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}** ؟

(١) حاشية من ناسخ المخطوطة: هذا الجواب إنما يتأتى على القول بأن السورة مدنية، وبعد ذلك يُدعى أنها نزلت بعد الخندق.

الجوابُ: هذِه السُّورةُ مِنْ أوَّلِها إلى آخِرِها كلامُ جِبْريلَ عليْهِ السَّلامُ معَه، لِأنَّه كانَ شديدَ الاشْتياقِ إليه وإلى كلامِه كما ذكَرْناه، فأرادَ اللهُ تعالى أنْ يكونَ هو المُخاطِبَ له بِهذِه الإشاراتِ[1].

ولمَّا وعَدَهُ اللهُ تعالى بِأنَّه لا يزالُ في كلِّ لحْظةٍ يُرَقيهِ مراقي العُلا والشَّرَفِ، ذكَّرَه بِما رقّاه بِه قبلَ ذلِكَ مِن حينِ تُوفِّي أبوه وهو حمْلٌ قد أتَتْ عليه سِتّةُ أشْهُرٍ، ثُم وَلِدَ فكانَ معَ جَدِّهِ عبدِ المُطلِّبِ ومعَ أُمِّه آمِنةَ، فهلَكَتْ أُمُّه آمِنةُ وهو ابنُ ستِّ سنين فكانَ معَ جَدِّه، ثم هلَكَ جدُّهُ بعدَ أُمِّه بِسَنَتين وهو ابنُ ثمانِ سنين، فتَمَّ يُتْمُهُ مِنَ الأبَوَيْن قبلَ بُلوغِه لِئلَّا يكونَ عليه حقٌّ لِمخْلوقٍ، وكان عبدُ المُطلِّبِ يوصي أبا طالِب بِه، لِأنَّ عبدَ الله وأبا طالِبٍ كانا مِن أُمٍّ واحِدةٍ، فكان أبو طالِبٍ هو الذي يكْفُلُه ﷺ بعدَ جَدِّه إلى أنْ بعَثَه الله بِالنُّبوّة، فقامَ بِنُصرتِه مُدّةً مديدة، ثُم تُوفِّي أبو طالِبٍ بعدَ ذلِكَ فلمْ يظْهَرْ على رسولِ الله ﷺ يُتْمٌ البَتّةَ، فذَكَّره الله تعالى فقالَ:

{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً}: استِفهامٌ تقريريٌّ، أي وجَدَكَ يتيما **{فَآوَىٰ}**: أي آواكَ بِأَنْ ضمَّكَ إلى عمِّكَ أبي طالِبٍ فأحْسَنَ تَرْبيَتَكَ حينَ ماتَ أبوكَ، ولمْ يُخْلِفْ لك مالاً ولا مأوىً، وقُرِئَ شاذاً «فأوى» بِالقَصْرِ بِمعْناه بِالمَدِّ، أو مِنْ «أوى إليه» إذا رحِمَه[2]. فإنْ قيلَ: كيفَ إنَّ الله تعالى يمُنُّ بِنِعَمِه، والمَنُّ بِها لا يليقُ، ولِهذا ذمَّ فِرْعونَ في قولِه **{أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا }** [3]؟!

أُجيبَ بِأنَّ ذلكَ يحْسُنُ إذا قصَدَ بِه تقْويةَ قلْبِه، ووَعْدَهِ بِدوامِ النِّعْمةِ، فامتِنانُ اللهِ تعالى زيادةُ نِعْمةٍ، بِخِلافِ امتِنانِ الآدَميّ. ولمّا كانَ يلْزَمُ مِن اليُتْمِ في الغالِبِ عدَمُ العِلْمِ لليتيمِ لِتهاونِ الكافِلِ، ومِن عدَمِ العِلْمِ الضَّلالُ، قالَ مُبيِّنا أنْ يُتْمَه وإهمالَه

(١) مفاتيح الغيب ٣١/ ٢٠٠.
(٢) وهي قراءة أبي الأشهب العقيلي وأبنه الأشهب. مختصر شواذ القرآن لابن خالويه صـ ٨٥.
(٣) سورة الشعراء - من الآية ١٨، وجاء الذم فيما تلى ذلك في الآية رقم ٢٢ من نفس السورة، حيث قال: (وَتِلْكَ نِعْمةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ..).

مِن الحَمْلِ على دينِهِم كانَ نِعْمةً عظيمةً عليه، لِأنَّه لمْ يكُنْ على دينِ قوْمِهِ في حينٍ مِن الأحْيانِ أصلا.

{وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ}:أي: لا تعْلَمُ الشَّرائِعَ **{ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ}**[1] –فأطْلَقَ اللازِمَ وهو «الضَّلالُ» على المَلْزومِ، والمُسبِّبَ على السَّببِ، وهو عدَمُ العِلْمِ– فكُنتَ لِأجْلِ ذلِكَ لا تُقْدِمُ على فِعْلٍ من الأفعالِ لِأنكَ لا تعْلَمُ الحُكْمَ فيه **{فَهَدَىٰ}**: أي فهَداكَ هُدىً مُحيطاً بِكُلِّ عِلْمٍ، فعَلَّمَكَ بِالوحي والإلْهامِ والتَّوفيقِ لِلنَّظَرِ ما لَمْ تكُنْ تعَلْم.

وليس المُرادُ بِالضَّلالِ الكُفْرَ، لِأنَّه ﷺ ما كفَرَ بِالله لحْظةً، ومِثْلُه بقيّةُ الأنبياءِ عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ، وإنْ جازَ ذلِكَ عقْلا خِلافا لِلمُعتزِلة، فهو مُمتَنِعٌ شرْعا. قالَ تعالى: **{ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى}** [2].

وقيل: ضلَّ عنْ مُرْضِعَتِه حليمةَ حينَ أرادتْ أنْ تزُدَّه إلى جدِّه عبدِ المُطَّلِبِ لمّا قضَتْ حقَّ الرَّضاعِ وفطَمَتْه، فسُمِعَ عندَ بابِ مكّةَ: «هنيئا لكِ يا بطْحاءَ مكّةَ، اليومَ يُرَدُّ إليك البَهاءُ والنورُ والجَمالُ»، قالتْ: فوضَعَتْهُ لِأُصْلِحَ شأني فسَمِعتُ هدّةً شديدةً، فالْتَفَتُّ لمْ أرَه، فقُلتُ: يا معْشَرَ النّاسِ أينَ الصَّبيُّ؟ فقالوا: لمْ نرَ شيئا، فصِحتْ: وامُحمَّداه، ودخَلتُ على هُبَل وشكَوتُ ذلِكَ إليه، فتَساقَطَتْ الأصْنامُ، وسمِعْتُ قائِلا يقولُ: إنَّما هلاكُنا بيدِ هذا الصَّبي، فانْحَشَرتْ قريشُ إلى عبدِ المُطَّلِبِ، وطلَبوه في جميعِ مكّة فلَمْ يجِدوه، فطافَ عبدُ المُطَّلِب بِالكَعْبةِ سبْعا، وتضَرَّعَ إلى الله تعالى أن يرُدَّه وقالَ:

يـاربِّ رُدّ ولَدي مُحمَّـــدا * ارْدُدْهُ ربي واصْطَنِعْ عِندي يدا

فسمِعوا مُناديا يُنادي مِنَ السَّماءِ: «معاشِرَ النّاسِ لا تضِجّوا فإنَّ لِمُحمَّدٍ ربًّا لا يخْذُلُه ولا يُضيِّعُه، وإنَّ مُحمَّداً بِوادي تُمامةَ عِندَ شجَرةِ الشَّمرِ»، فسارَ عبدُ المُطَّلِبِ

(١) سورة الشورى - من الآية ٥٢
(٢) سورة النجم - الآية ٢

هو وورقةُ بنُ نَوْفلٍ، فإذا النبيُّ ﷺ قائِمٌ تحتَ شجَرةٍ يلْعَبُ بِالأغْصانِ وبِالوَرَق. وفي رِوايةٍ: ما زالَ عبْدُ المُطَّلِبِ يُردِّدَ البيتَ حتى أتاه أبو جهْلٍ على ناقةٍ، ومُحمَّدٌ ﷺ بيْنَ يديْه، وهو يقولُ: «لا تذْري ما جرى مِن ابْنِك؟» فقالَ عبدُ المُطلب: «ولِم؟» فقال: «إني أنَختُ النّاقةَ وأرْكَبتُه خلَفي، فأبَتِ النّاقةُ أن تقومَ، فلمّا أرْكَبتُه أمامي قامتِ الناقةُ»، كأن الناقة تقول: يا أحمقُ، هو الإمامُ كيفَ يقومُ خلْفَ المُقتدي. قال ابنُ عباسٍ: ردَّه إلى جدِّه بيدِ عدُوِّه كما فعَلَ لِموسى ش حينَ حفِظَه على يدِ عدُوِّه.(١)

وقيل: وجعَلَكَ ضالًّا ليلةَ المِعْراجِ حينَ انْصرَفَ عنك جِبريلُ، وأنتَ لا تعرِفُ الطَّريقَ فهداكَ إلى ساقِ العَرْشِ. وقيل: الخِطابُ لِلنَّبي ﷺ، والمُرادُ غيرُه، أي وجَدَ قومَكَ ضُلَّالا فهَداهُم بِك. وقيل: خرجَ النَّبيُّ ﷺ معَ عمِّه أبي طالِبٍ في قافِلةٍ بِمَيْسَرةَ عبدِ خديجة، فبَيْنما هو راكِبٌ ذات ليلةٍ مُظْلِمةٍ ناقةً، فجاءَ إبْليسُ فأخَذ بِزِمامِ النّاقةِ فعدَلَ بِها عنِ الطَّريقِ، فجاءَه جِبريلُ عليه السَّلامُ فنفَخَ إبْليسَ نفْخةً وقعَ مِنها إلى أرضِ الحبَشةِ، وردَّه إلى القافِلةِ، فمَنَّ اللهُ عليه بِذلِك(٢). وقيلَ: الضَّلالُ بِمعْنى المَحبّةِ، كما في قولِه تعالى: {قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ} (٣) أي محَبَّتِكَ، أي وجدَكَ مُحِبًّا لِلمَعْرِفةِ فمَنَّ بِها عليكَ(٤). وقيل: وجدَكَ ضائِعا في قومِكَ فكانوا يؤذونَكَ ولا يرْضَوْن بِك، رغْبةً عنْكَ لِجَهْلِهِم بِمَقامِك، فقوَّى أمْرَكَ وهداكَ إلى أنْ صِرْتَ والياً عليهِم، وقيل غيرُ ذلك.

ولمّا كان العيالُ يمْنَعون مِن التَّفرُّغِ لِلعَمَلِ أو غيرِه، قالَ: **{وَوَجَدَكَ عَآئِلاً}**: أي ذا عيالٍ لا تقْدِرُ على التَّوْسِعةِ عليهِم، أو فقيرا، يُقالُ «عالَ الرَّجُلُ» افْتَقَرَ أو كثُرَ عيالُه **{فَأَغْنَىٰ}**: أي قنَّعَك فرضّاكَ بِما أعْطاكَ مِنَ الرِّزْقِ، وذلك حقيقةُ الغِنى، قال

(١) الكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ٢٢٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/ ٩٧
(٢) معالم التنزيل ٨/ ٤٥٦، والسراج المنير ٤/ ٤٠٤.
(٣) سورة يوسف - الآية ٩٥
(٤) والمعنى: محبا فهداك إلى محبوبك الأعظم.

ﷺ: (ليسَ الغِنى عنْ كثْرةِ العَرَضِ، ولكِنَّ الغِنى غِنى النَّفْسِ)[١]، وقالَ ﷺ: (قدْ أفْلَحَ مَن أسْلَمَ ورُزِقَ كَفافا، وقنَّعَه اللهُ بِما آتاه)[٢].

وقيل: أغْناكَ بِمالِ خديجةَ وتربْيةِ أبي طالِب، ولمّا اخْتَلَّ ذلِكَ أغْناه بِمالِ أبي بكْرٍ، ولمّا اختلَّ ذلِكَ أمرَه بِالجِهادِ وأغْناه بِالغنائِم، رويَ عنْه أنَّه قالَ: (جُعِلَ رِزْقي تحْتَ ظِلِّ رُمْحي)[٣]، وقيل: بِما جعلَ لكَ مِن رِبْحِ التِّجارةِ. [٤]

وعِبارةُ الفَخْرِ: أغْناه بِتَرْبيةِ أبي طالِبٍ، ولمَا اخْتلَّتْ أحوالُ أبي طالِبٍ أغناه بِمالِ خديجة، ولمّا اختلَّ ذلك أغْناه بِمالِ أبي بكرٍ، ولمّا اختلَّ ذلكَ أمَره بِالهِجْرةِ وأغْناه بإعانةِ الأنْصارِ، ثمَّ أمَرَه بِالجِهاد وأغْناه بِالغنائِمِ، وإنْ كان إنَّما يحصُلُ بعدَ نُزول هذه السُّورة، لكِنْ لمّا كان ذلك معْلومَ الوقوعِ كان كالواقِعِ[٥]. اهـ.

وقيل في تفسير «العائِلِ»: إنكَ كنتَ كثيرَ العيالِ وهم الأُّمة، فكَفاكَ، وقيلَ: فأغْناهُم بِك لِأنَّهُم فُقراءُ بِسبَبِ جهْلِهِم، وأنتَ صاحِبُ العِلم فهداهُم في يدِك. وقُرِئَ شاذاً «عيلاً» بِمعْنى عائِلاً وعديماً أي فقيراً[٦]. قال البِقاعيُّ: وأفْهَمَ ذلِكَ أنَّ النّاسَ أرْبَعةُ أقْسام، مِنهُمْ مَن وجَدَ الدّينَ والدُّنيا، ومِنهُم مَن عُدِمَهُما، ومِنهم مَن وجَدَ الدِّينَ لا الدُّنيا، ومِنهُم مَن وجَدَ الدُّنيا لا الدينَ[٧].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك الرقاق/ ب: الغنى غنى النفس/ ٦٠٨١ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ك الزكاة/ ب: في الكفاف والقناعة/ ١٠٥٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الجهاد والسير/ ب: ما قيل في الرماح/ عن ابن عمر رضي الله عنه وأورده البخاري معلقا، وأحمد في المسند ٢/ ٥٠/ ٥١١٤ قال ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٤٩: فيه عبد الرحمن بن ثابت وثقه ابن المديني وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات.

(٤) مفاتيح الغيب ٣٢/ ٢٠٤.

(٥) المرجع السابق.

(٦) وهي قراءة محمد بن السميفع اليماني، مختصر ابن خالويه صـ ١٧٥، وإعراب القراءات الشواذ ٢/ ٧٢٢.

(٧) نظم الدرر ٨/ ٤٥٧.

ولَمّا ذكَّرَه سُبْحانَه بِما أَنْعَمَ عليه بِه مِن هذهِ النِّعَمِ الثَّلاثِ أَوْصاه بِما يفْعَلُ في ثلاثٍ مُقابِلةٍ لها، فقال – مُسَبِّباً عنه، مُقدِّماً معْمولَ ما بعْدَ الفاءِ عليها اهتِماماً–:

{فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ} أيْ هذا النَّوع **{فَلَا تَقْهَرْ}**: أي فلا تقْهَرْهُ بِأَخْذِ مالِهِ لِضَعْفِه، كما كانت العَرَبُ تفْعَلُ في أموالِ اليتامى، تأْخُذُ أموالَهُم وتظلِمُهُم حُقوقَهُم، أو لا تَعْبَسْ وجهَكَ عليه، والمعْنى: عامِلْهُ بِمِثْلِ ما عامَلْتُكَ بِه، ونظيرُهُ مِن وجْهِ {وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ}[1].

رويَ أنَّه ﷺ قال: (خيرُ بيتٍ في المُسْلِمين، بيْتٌ فيه يتيمٌ يُحْسَنُ إليه، وشَرُّ بيتٍ في المُسْلِمين بيْتٌ فيه يتيمٌ يُساءُ إليه، ثمَّ قالَ بِإصبَعَيْه: أنا وكافِلُ اليتيمِ في الجنّةِ هكذا، وهو يُشيرُ بِإصْبَعيه)[2].

وفي الآيةِ دِلالةٌ على اللُّطْفِ بِاليتيمِ والإحسانِ إليه، قالَ ﷺ: (مَنْ ضَمَّ يتيماً وكانَ في نفَقَتِهِ وكفاهُ مُؤْنَتَه، كان له حِجاباً مِن النّارِ يومَ القيامةِ)[3]، وقالَ: (مَنْ مسَحَ بِرأسِ يتيمٍ كان له بِكُلِّ شعْرةٍ حسَنةٌ)[4].

---

(١) سورة القصص - من الآية ٧٧

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ك الأدب/ ب حق اليتيم/ ٣٦٧٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والبغوي في شرح الستة ٢/ ١٢١٢/ ٣٦٧٩، والبخاري في الأدب المفرد ١/ ٦١/ ١٣٧، والطبراني في الأوسط ٥/ ٩٩/ ٤٧٨٥، وسنده ضعيف فيه يجيء من سليمان أبو صالح قال عنه البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم مضطرب الحديث كما ذكر العلامة محمد فؤاد عبد الباقي في تحقيقه لسنن ابن ماجه.

(٣) الحديث باللفظ المذكور لم أقف عليه عند أحد من المحدثين، وذكره بلفظه الخطيب الشربيني الشربيني في تفسيره السراج المنير ٤/ ٤٠٥ وابن عجيبة في تفسيره البحر المديد ٨/ ٣١٨ وابن عادل الحنبلي في تفسير اللباب ١/ ٣٩٢. وورد الحديث بلفظ آخر عند الإمام أحمد في المسند ٤/ ٣٤٤/ ١٩٠٤٧ ولفظه: من ضم يتيما بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة البتة، ومن أعتق مسلما كان فكاكه من النار يجزى بكل عضو منه عضوا من النار.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٤٧٢/ ١١٠٣٦ بلفظ قريب منه، وذكره بلفظه الشربيني الشربيني السراج المنير ٤/ ٤٠٥ ، وابن عادل الحنبلي ١/ ٥٣٠٢.

وقُرِئَ شاذاً (فلا تكْهَر) وهو أنْ يعْبَسَ في وجهِه، يُقالُ «فُلانٌ ذو كُهورةٍ»: عابِسُ الوجْهِ[1].

واخْتارَ اللهُ تعالى لهُ اليُتْمَ لِأنَّ مَنْ كانَ له أبٌ وأُمٌّ فاعتِمادُه عليهِما، فسَلَبَ عنه الأبَوين [2] حتّى لا يعْتَمِدَ مِن أوَّلِ عُمْرِهِ إلى آخِرِهِ على أحَدٍ سِوى الله، ولِأنَّ اليَتيمَ لا تخْفى عُيوبُه، بلْ تظْهَرُ ورُبَّما زادوا[3] على الموجودِ، فاختارَ لهُ تعالى اليُتْمَ لِيتَأمَّلَ كُلُّ أحَدٍ في أحوالِه فلَمْ يجِدوا عليْهِ عيْبا فيتَّفِقونَ على نزاهَتِه، فإذا اخْتارَه اللهُ لِرِسالتِهِ لمْ يجِدوا عليه مطْعَنا، ولِيعْلَمَ كلُّ أحدٍ أنَّ فضيلَتَهُ فضْلٌ مِن اللهِ تعالى ابْتِداءً، لِأنَّ الذي لَهُ أبٌ فإنَّ أباه سببٌ في تعليمِهِ وتأديبِهِ، ولِأَنَّ اليُتْمَ والفَقْرَ(له فضل)[4] نقْصٌ في العادةِ فكَوْنُهُ ﷺ معَ هذيْنِ الوصْفَيْنِ مِن أكْمَلِ الخَلْقِ بلْ هو أكْمَلُهُم على الإطْلاقِ، كان ذلِكَ قلْباً لِلعادةِ فيكونُ مُعْجِزةً.

ولَمَّا بدَأَ بِما كانَ بِدايةً لهُ ثنَّى بِما هو نِهايةٌ لهُ مِنْ حيثُ كونُه يصيرُ رأْسَ الخَلقِ، فيصيرُ محَطَّ الرِّجالِ في كلِّ سؤالٍ مِن عِلم ومآلٍ، فقالَ -مُقدِّماً لهُ اهتِماماً بِه، إشارةً إلى أنَّ جبْرَ الخَواطِرِ واسْتِئلافَ الخلْقِ مِن أعْظَمِ المَقاصِدِ في إتْمامِ الدين-:

{وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ} أي الذي أحْوجَتْهُ العيلةُ أو غيرُها إلى السُّؤالِ **{فَلاَ تَنْهَرْ}**: أي تزْجُرهُ زجْراً مهيناً، فقدْ علِمْتَ مضاضةَ العيلةِ، بلْ أعْطِهِ ولو قليلاً، أو رُدَّه ردّاً جميلاً. قال إبراهيمُ بنُ أدْهَمٍ[5]: نِعْمَ القومُ السُّوالُ، يحْمِلون زادَنا إلى الآخِرةِ. وقيلَ:

---

(١) وهي قراءة ابن مسعود، وإبراهيم التيمي والشعبي والأشهب العقيلي، قال العزاء: وهي في مصحف عبد الله وسمعتها من أعرابي من بني أسد قرأها على مختصر شواذ القرآن صـ ١٧٥، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧٤.

(٢) هكذا في الأصل، والصواب الأبوين لأنها مفعول به.

(٣) أي زاد الناس في الحديث عن عيوب ليست فيه. وهذا المعنى أوفق للسياق مما كتبه الناسخ بهامشها: قوله «زادوا» أي العيوب، ولو قال «زادت» كان أولى. اهـ

(٤) زيادة على ما في النسخة لأن الكلام يقتضيها.

(٥) إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي أبو إسحاق الصوفي الزاهد، مات ودفن على الأرجح سنة في صوفنين حصن من بلاد الروم كما في تاريخ ابن عساكر ٢٠/ ١٦٧، وحلية الأولياء ٧/ ٣٦٧.

السّائِلُ هو طالِبُ العِلْمِ، فيجِبُ إكرامُه وإنصافُه بِمَطلوبِه فلا يُعْبَسُ في وجهِهِ، ولا يُنْهَرُ ولا يُلقى بِمكروهٍ، والآيةُ تعُمُّ الأمْرين.

{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}: قيلَ: أرادَ بِالنِّعْمةِ النُّبَوّةَ، أي بلِّغْ ما أُرْسِلْت بِه وحدِّث بِالنُّبوّةِ التي آتاكَ اللهُ، وقيلَ: النِّعْمةُ هي القُرآنُ، أمَرَهُ أنْ يقْرأَه ويُقْرِئَه غيْرَه، والآيةُ عامّةٌ في كلِّ ما أنْعَمَ بِه عليه، فإنَّ التَّحدُّثَ بِها شُكْرُها.

والمَعْنى إنَّك كُنْت يتيماً وضالّاً فآواكَ اللهُ وهداكَ وأغْناكَ، فمَهْما يكُنْ مِنْ شيءٍ فلا تنْسَ نِعْمةَ اللهِ عليكَ في هذِه الثَّلاثِ، واقْتَدِ باللهِ فتعطَّفْ على اليتيمِ وآوِهِ، فقدْ ذُقْت اليُتْمَ، ورأيْتَ كيْفَ فعَلَ اللهُ بِك، وترَحَّمْ على السّائِلِ وتفقَّدْه بِمَعْروفِك، ولا تزْجُرْه عن بابِكَ، كما فعَلَ ربُّكَ فأغْناكَ بعْدَ الفقْرِ، وحدِّثْ بِنِعْمةِ اللهِ كلِّها، ويدْخُلُ تحتَه هِدايتُهُ الضُّلالَ وتعليمُهُ الشَّرائِعَ والقُرآنَ، مُقْتدياً بِاللهِ في أنْ هَداهُ مِنَ الضَّلالِ. وعن عبدِ اللهِ بنِ غالِبٍ[1] أنَّه كانَ إذا أصْبَحَ يقولُ: رزَقَني اللهُ البارِحةَ خيْراً، قرأْتُ كذا وصلَّيتُ كذا، فإذا قيلَ له: يا أبا فِراسٍ، مِثْلُك يقولُ مثْلَ هذا، قال: يقولُ اللهُ تعالى: ﴿وأمَّا بِنِعْمةِ ربِّكَ فحدِّثْ﴾ وأنتم تقولونَ: لا تُحَدِّثْ بِنِعْمةِ الله. وعنِ الحسنِ بن عليٍ أنه قالَ: إذا عمِلْتَ خيْراً فحدِّثْ إخْوانَكَ بِه لِيقْتَدوا بِك[2].

إلّا أنَّ هذا يحْسُنُ إذا لمْ يتضمَّنْ رياءً، ويظُنُّ أنَّ غيرَه يقْتَدي بِه، وقد سُئِلَ أميرُ المُؤمِنين عليٌّ رضي الله عنه عنِ الصَّحابةِ فأثْنى عليهِم وذكَرَ خِصالَهُم، فقالوا له: حدِّثْنا عَن نفْسِكَ، فقال: مهْلاً، فقَدْ نهى اللهُ عنِ التَّزْكيةِ، فقيلَ له: أليسَ اللهُ تعالى يقولُ: {وأمَّا بِنِعْمةِ ربِّكَ فحدِّثْ}، قال: فإنِّي أُحَدِّثُ، كُنْتُ إذا سُئِلتُ أُعطيتُ، وإذا سُكِتَ ابْتَديتُ، وبين الجَوانِحِ عِلْمٌ فاسْألوني. قالَ بعْضُهُم: والسِّتْرُ أفضَلُ، ولو لمْ يكُنْ في الذِّكْرِ إلا التَّشبُّهُ بِأهْلِ الرّياءِ لكَفى[3].

---

(١) عبد الله بن غالب الليثي صحابي جليل، قال ابن حجر في الإصابة: بعثه رسول الله □ في سرية سنة اثتنين من الهجرة، كذا ذكره أبو عمر مختصرا الإصابة ٤/ ٢٠٦/ ٤٨٨٣.
(٢) مفاتيح الغيب ٣٢/ ٢٠٥، والدر المنثور ٧/ ٦٦٩.
(٣) المرجع السابق.

قُلْتُ: الذي يظْهَرُ ترجيحُ التَّفْصيلِ المُتَقَدِّمِ، لِما فيهِ مِنَ الحَمْلِ على فِعْلِ الخَيْرِ زِيادةً على التَّحَدُّثِ بِالنِّعْمةِ المَأمورِ بِه، والأعْمالُ بِالنيات.

فإنْ قيلَ: ما الحِكْمةُ في أنَّ الله تعالى أخَّرَ حقَّ نفْسِهِ على حقِّ اليتيمِ والعائِلِ؟ فالجَوابُ أنَّه تعالى أغْنَى الأغْنياءِ، وهُما مُحتاجانِ، وتقْديمُ حقِّ المُحْتاجِ أوْلى، وأنَّ المَقْصودَ مِن جميعِ الطّاعاتِ اسْتِغْراقُ القَلْبِ في ذِكْرِ اللهِ تعالى[1]، فجَعَلَ خاتِمةَ هذه الطاعاتِ على ذِكْرِ اللهِ تعالى.

واخْتيرَ {فحدِّثْ} على «فخَبِّرْ» الذي قُرِئَ بِه شاذاً[2] ليكونَ ذلِكَ حديثاً عِنْدَه لا ينْساه، ويُفيدُه مرّةً بعْدَ أُخرى. وقدْ كرَّرَ سُبْحانَه «أمَّا» ثلاثَ مرّاتٍ لِوقوعِها في مُقابَلةِ ثلاثِ آياتٍ مُناسِباتٍ، وهي: {أَلَمْ يَجِدْكَ يتيماً فآوى * ووجَدَكَ ضالّاً فهَدَى * ووجَدَكَ عائِلاً فأَغْنى}، فقالَ: {فأمّا الْيَتيمَ فَلَا تَقْهَرْ} واذْكُرْ يُتْمَكَ، {وأمَّا السَّائِلَ فلَا تَنْهَرْ} واذْكُرْ فَقْرَك، {وأمَّا بِنِعْمةِ ربِّكَ} التي هي النُّبَوّةُ أو الإسْلَامُ {فَحَدِّثْ} واذْكُرْ ضَلالَكَ عنْهُما.

ولمَّا نزَلَتْ هذه السُّورةُ كبَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ، فصارَ سُنّةً[3]، وتقَدَّمَ أنّه اخْتُلِفْ عنهُم في لفْظِهِ، فمِنْهُم مَن اقْتَصَرَ على «اللهُ أكبَرُ»، ومِنْهُم مَن زادَ التَّهليلَ فقالَ: «لا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكْبَرُ» وهذا هو المُسْتَعْمَلُ، ومِنْهُم مَن زادَ «ولله الحَمْدُ». والراجِحُ قولُ مَن قالَ: إنَّه لِآخِرِ الضُّحى إسْناداً ومَعنىً، لِأنَّها وإنْ كانتْ هي السَّبَبُ، والعادةُ جاريةٌ بِأنَّه مَن دهَمَهُ أمْرٌ عظيمٌ يُكبِّرُ معَ أوَّله، لكِنَّ شُغْلَه ﷺ بِالإصْغاءِ إلى ما يوحَى إليه منَعَهُ مِن ذلِك، فلَمّا خُتِمَتِ السّورةُ تفَرَّغَ له، فكان ذلك

(١) مفاتيح الغيب ٣٢/ ٢٠٥.
(٢) نسبها الزمخشري في الكشاف للإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه ٣/ ٣٤٦، قال الفراء: قرأ علي أعرابي: وأما بنعمة ربك فخبر، فقلت: إنما هو فحدث، قال حدث وخبر سواء ، مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ١٧٥، معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧٤.
(٣) أي التكبير عند القراءة من سورة الضحى إلى آخر سورة الناس.

الوقتُ كأنَّه ابْتِداءُ مُناجاةِ الأمْرِ العَظيمِ له، وزادَ ما في السورةِ مِن جلائِلِ النِّعَمِ المُقْتضيةِ لِلتَّحميدِ، وما في ذلِكَ مِن بدائعِ الصُّنْعِ المُوجِبِ لِلتَّهليل.

الخواتم (بيانُ القِراءاتِ)[1]:

١- أمالَ[2] فواصِلَها الثَّمانيةَ، ومِنها «والضُّحى» سِوى «سَجَى» حَمْزةُ والكَسائيُّ وخلَفٌ، وقلَّلَها الأزْرَقُ وأبو عمرو بِخُلْفٍ،

٢- وأمالَ «سَجَى» الكَسائيُّ وحدُهُ، وقلَّلَها الأزرَقُ وأبو عمرو بِخُلفه،

٣- وقرأَ «ولَلْآخِرة» بِالنَّقْلِ بِلا هَمْزٍ، كوقَفَ حمْزةَ في أحَدِ وجْهَيْه، وثانيهُما السَّكْتُ، وثَلَّثَ الأزْرقُ مَدَّ الألَفِ بعدَ اللامِ مع ترقيقِ رائِها وجْهاً واحِداً بِخلافِ المَضْمونةِ في «خيرٌ لَكَ» فلَه فيها التَّرقيقُ وعدمُهُ، وسكتَ على اللامِ حمْزةُ وابنُ ذَكْوانَ وحفْصٌ وإدْريسُ عن خلَفٍ، أي عن خلفِهِم.

٤- ويُوقَفُ لِحَمْزة على «فآوى»، «فأغْنى» بِالتَّسهيلِ بيْنَ بَيْن، وبِالتَّحقيقِ لِتَوَسُّطِهِ بِزائِدٍ، واتَّفَقَتْ المَصاحِفُ على كِتابةِ «والضُّحَى» و«سَجَى» بِالياء، واللهُ أعْلَمُ[3].

وبعد أن انتهى الشيخ من تفسيره كتب خاتمة مباركة تناول فيها خمس قضايا هامة وهي:

-فضل تلاوة القرآن الكريم والترغيب فيه.

-ما يحذر منه حامل القرآن من الرياء وغيره.

-الحال التي ينبغي أن يكون عليها حامل القرآن الكريم.

-فيما يكمل به حال طالب القرآن.

- صفة من يقرأ عليه ويؤخذ عنه.

---

(١) زدنا هذا العنوان ليتميز الكلام ويسلم.

(٢) معنى الإمالة: أن ينحو القارئ بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء. إتحاف عقلاء البشر صـ ٧٤، والنثر في القراءات العشر ٢/ ٢٩.

(٣) ينظر: الفيض العميم ص٤٤ وما بعدها .

وصف نسخ الكتاب:

يوجد ثلاث نسخ خطية للكتاب:

الأولى: نسخة محفوظة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة النبوية برقم (١٤٧/ ٢٨٨تفسير) عدد أوراقها (١٣٣) عدد الأسطر (٢١) تاريخ النسخ ١ محرم سنة ١١٧٢هـ.

الثانية: نسخة محفوظة –أيضاً– بمكتبة عارف حكمت بالمدية النبوية برقم (٢٨٨/١٤٨ تفسير) عدد أوراقها (٨٠) عدد الأسطر (٣١) تاريخ النسخ (١٢٧١هـ).

الثالثة: نسخة محفوظة بالهيئة العامة للكتاب بمصر تحت رقم (٤٨٥) فيلم (٦٨٧٥) عدد أوراقها (١٢٦) عدد الأسطر (٢١).

وتم تحقيق الكتاب في رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للباحث محمد سيدي عبد القادر، كما تشرفت بتحقيقه بجمهورية مصر العربية ونشرته دار كشيدة للنشر والتوزيع ٢٠١٦م.

المبحث الثالث

منهج العلامة الدمنهوري في تفسيره الفيض العميم

وبعد هذه النظرة العامة لتفسير العلامة الدمنهوري . رحمه الله . نذكر بشيء من الإيجاز بعض منهج العلامة الدمنهوري في بعض القضايا التي تعرض لها في تفسيره :

اهتمامه بالتفسير بالمأثور:

التفسير بالمأثور هو تفسير القرآن بالقرآن وبما صح عن رسول اللهﷺ ، وبما صح عن الصحابة والتتابعين رضوان الله عليهم ، وهو ما يعرف بالتفسير بالرواية، ومن ذلك ما ذكره رحمه الله عند تفسير قول الله عز وجل: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}: أي غايةَ الرِّضى لِأنَّه دائِماً في مقامِ الرِّضى، ووجهُ اتِّصالِه بِما قبْلَه هو أنَّه تعالى لمَّا بيَّنَ أنَّ الآخِرةَ خيْرٌ لَه مِن الأولى، ولكِنَّه لمْ يُبيِّنْ أنَّ ذلِكَ التَّفاوتَ إلى أيِّ حدٍّ يكونُ، فبَيَّنَ بِهذِه الآيةِ مِقْدارَ ذلِكَ التَّفاوتِ، وهو أنَّه ينْتَهي إلى غايةِ ما يتَمنَّاه الرَّسولُ ويرْتَضيهِ.(١)

وهذه عِدةٌ كريمةٌ شامِلةٌ لِما أعْطاه اللهُ تعالى في الدَّنيا، مِن كمالِ النَّفْسِ وعُلومِ الأوَّلينَ والآخِرين، وظهورِ الأَمْرِ وإعْلاءِ الدِّينِ بِالفُتوحِ الواقِعةِ في عصْرِه صلى الله عليه وسلم وفي أيَّامِ الخُلَفاءِ الراشِدين وغيرِهِم مِن المُلوكِ الإسْلاميّةِ، وفُشُوِّ الدَّعْوةِ والإسْلامِ في مشارِقِ الأرْضِ ومغارِبِها، ولِما ادَّخَرَ له مِن الثَّوابِ الذي لا يعْلَمُ كُنْهَه إلا اللهُ تعالى.

(١) مفاتيح الغيب ٣١/ ٢٠٠.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: «له في الجِنّةِ ألْفُ قصْرٍ مِن لؤلؤٍ أبْيَضٍ، تُرابُهُ المِسْكُ»[١]. وقال ابنُ عباسٍ: هي الشَّفاعةُ في أمَّتِهِ حتّى يرْضى. روى مُسْلِمٌ عن عبدِ الله ابنِ عمرو بنِ العاصِ (أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم رفَعَ يدَيْهِ وقالَ: اللَّهُمَّ أُمَّتي أُمَّتي، وبكى، فقالَ اللهُ: يا جِبْريلُ اذْهَبْ إلى مُحمَّدٍ واسْأَلْه ما يُبْكيكَ، وهو يعْلَمُ، فأَتى جِبْريلُ وسأَلَه فأَخْبَرَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بِما قالَ، وهو أعْلَمُ، فقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: يا جِبريلُ اذْهَبْ إلى مُحمَّدٍ وقُلْ له إنّا سنُرضيكَ في أُمَّتِكَ ولا نسوؤك)[٢]. وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَ صلى الله عليه وسلم قالَ: (لِكُلِّ نبيٍّ دعْوةٌ مُسْتجابةٌ، فتَعَجَّلَ كُلُّ نبيٍّ دعْوتَه، وإنّي أخْبَأْتُ دعْوتي شفاعَتي لِأُمَّتي يوْمَ القيامةِ، فهي نائِلةٌ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مَنْ ماتَ مِنْ أُمَّتي لا يُشْرِكُ بالله شيْئا)[٣]. وقيلَ حمْلُ الآيةِ على ظاهِرِها -خيْرَي الدُّنيا والآخِرةِ معا- أوْلى.

قالَ حرْبُ بنُ سُرَيْح[٤]: سَمِعتُ جعفرَ بنَ مُحمَّدِ بنِ عليٍّ[٥] يقولُ: إنَّكُمْ يا معْشَرَ أهْلِ العِراقِ تقولون: أرْجى آيةٍ في القُرآنِ {قُلْ يٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ} [٦]، وإنّا أهْلُ البَيْتِ نقولُ: أرْجى آيةٍ في كِتابِ اللهِ

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣٤٤٣، والطبري في جامع البيان ٢٤/ ٤٨٧، وقال: إسناده صحيح إلى ابن عباس ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف، والسيوطي في الدرر المنثور ١٥/ ٤٨٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الإيمان/ ب: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته وبكائه شفقة عليهم/ ٢٠٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الإيمان/ ب: اختبار النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته/ ١٩٩، وكان لكل نبي دعوة منحة من الله عز وجل يعلم كل نبي أنها مجابة لا محالة، وبقيت دعواته موقوفة على باب الرجاء فدعى كل نبي بدعوته في الدنيا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر هذه الدعوة لأمته يوم القيامة حرصا على الأمة وحبا لها صلى الله عليه وسلم.

(٤)هو حرب بن سريح المنقري البزار التميمي، يخطئ كثيرا حتى خرج عن حد الاحتياج به إذا انفرد – المجروحين لابن حبان ١/ ٢٦١/ ٢٦٠.

(٥) جعفر بن محمد بن علي القرشي الهاشمي الإمام الصادق شيخ بني هاشم العلوي النيوي المدني، تابعي، أدرك سيدنا أنس، وسهل بن سعد، وتتلمذ على يديه الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، قال عمرو بن أبي المقدام: إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين، توفي سنة ١٤٨ ه/ سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٢٤/ ١١٧، التاريخ الكبير للبخاري ٢/ ٢١٨٣.

(٦) سورة الزمر - من الآية ٥٣

{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ}، وعنْ عليٍّ رضي الله عنه: إنَّها أرجى آيةٍ في القُرآن لِأنَّه صلى الله عليه وسلم لا يرْضى وأَحَدٌ مِن أُمَّتِهِ في النَّارِ[1].

والعلامة الدمنهوري . رحمه الله . اهتم بهذا النوع من التفسير ، وكتابه مليء بالأمثلة الكثيرة التي تبين ذلك ، وخاصة مرويات التابعين رضوان الله عليهم.

رده على من ينكر بعض الأحاديث الثابتة:

هناك في السنة الشريفة بعض القضايا زلت فيها أقدام الكثير من العلماء ، من هذه القضايا قضية سحر النبي صلى الله عليه وسلم ، والقصة ثابتة في الصحاح[2] لا مجال للطعن في صحة ثبوتها ، وبالرغم من ثبوتها وصحتها إلا أن البعض ردها بحجج عقلية محضة ، فنرى العلامة الدمنهوري . رحمه الله . يرد عليهم ردودا مفحمة فيقول . رحمه الله . في تفسيره لسورة الفلق : وإنكار هذه الرواية بقوله تعالى {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}[3] وبأن إثباتها يؤدي إلى القدح في النبوة وبأنه يؤدي إلى صدقهم في قولهم: إنه مسحور مردود بأن ذلك من قبيل المرض الذي لا يتعدى إلى قلبه الشريف ، فهو من الأمراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في كماله صلى الله عليه وسلم ، وبأن المراد بقولهم: إنه مسحور أنه مجنون زال عقله بواسطة السحر تنزه المصطفى عن ذلك وعن كل ما يؤذيه في نبوته

(١) الدرر المنثور ١٥/ ٤٨٥، ومعالم التنزيل ٨/ ٤٥٥.

(٢) القصة أخرجها الإمام البخاري في صحيحه كتاب: الطب، باب: السحر، برقم (٥٧٦٣) عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدِي، دَعَا اللَّهَ وَدَعَاهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ» قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " جَاءَنِي رَجُلاَنِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ اليَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، قَالَ: فِيمَا ذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ " قَالَ: فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى البِئْرِ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا نَخْلٌ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَأَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: «لاَ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِيَ اللَّهُ وَشَفَانِي، وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا» وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ.

(٣) المائدة جزء من الآية: ٦٧.

وشرعه ، بل من العلماء من لم يقل بتأثيره فيه صلى الله عليه وسلم وإنما وافق مرضه مرضها ، والمعول عليه أن هذه القصة قد صحت عن الجمهور وتأويلها ما تقدم . انتهى.

اهتمامه بالقضايا العلمية:

كان الشيخ . رحمه الله ". عالما موسوعيا بمعنى الكلمة يقتفي أثر من سبقه من العلماء الأفذاذ في هذا العلم ، فنرى الشيخ . رحمه الله . يتحدث عن فوائد الزيتون الأخضر الطبية عند تعرضه لسورة التين ، يقول . رحمه الله .: والزيتون الأخضر بارد يابس جيد الغذاء مقو للمعدة مثير للشهوة مانع من تراقي البخار ، وأما الأسود فحار يابس يولد السود أردى للمعدة . انتهى.

ونراه أيضا مهتما بعلم الفلك وذلك عند تعرضه لتفسير سورة القدر وتفسيره لقوله: { لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ}[1]، يقول . رحمه الله .: والألف شهر ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر ، أي: قمرية ، وهي المعهودة عند علماء الشرع ، وأيامها: أربعة وخمسون وثلاثمائة وخمس يوم وسدس يوم ، وهي اثنا عشر شهرا ، الشهر هو زمان معاوقة القمر ، أي: يفرض له من الشمس إلى عوده إليه ، وأظهر الأوضاع هو الهلال ، لكن رؤية الهلال تختلف باختلاف المساكن فلن يلتفت إليها إلا في الأمور الشرعية. انتهى.

اهتمامه بعلم التناسب بين السور:

علم التناسب بين السور القرآنية من أجل العلوم وأشرفها ، والمراد منه: تلمس أوجه الترابط والانسجام في القرآن العظيم ، وعن فوائده يقول الفخر الرازي رحمه الله أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط[2].والتناسب والانسجام من أهم السمات التي يتحقّق بتحقّقها الجمال وينتفي بانتفائها ؛ ولا ريب أن النظم

(١) القدر:٢.
(٢) مفاتيح الغيب ١٠٧/١٠.

المحكم والرصف المتفرّد والبناء المتلاحم من أهم الخصائص التي تكشف عن جمال القرآن العظيم ومعلوم أن أهم محاسن الكلام – أن يرتبط بعضه ببعض وتلتئم أجزاؤه وتتفق مبانيه وتتناسب أطرافه وتنسجم مكوّناته ؛ ويغدو سلس النظام خفيفا على اللسان حتى لكأنه بأسره كلمة واحدة ؛ فيسلم بذلك من التفرّق والتنافر والتباين والاختلاف.

وشيخنا الدمنهوري رحمه الله اهتم بهذا العلم فيذكر بين كل سورتين المناسبة والصلة بينهما ، مما يظهر لنا جليا بلاغة القرآن الكريم وارتباطه ببعضه وكأنه سورة واحدة.

موقفه من الاسرائيليات:

الإسرائيليات : جمع إسرائيلية ، نسبة إلى بني إسرائيل ، والنسبة في مثل هذا تكون لعجُز المركب الإضافي لا لصدره ، وإسرائيل هو : يعقوب عليه السلام أي عبد الله وبنو إسرائيل هم : أبناء يعقوب ، ومن تناسلوا منهم فيما بعد ، إلى عهد موسى ومن جاء بعده من الأنبياء ، حتى عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأخبار بني إسرائيل ، وأقاويلهم على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ما علمنا صحته مما بأيدينا من القرآن والسنة ، والقرآن هو : الكتاب المهيمن ، والشاهد على الكتب السماوية قبله ، فما وافقه فهو: حق وصدق، وما خالفه فهو: باطل وكذب ، وهذا القسم صحيح ، وفيما عندنا غنية عنه ، ولكن يجوز ذكره ، وروايته للاستشهاد به ، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم.

القسم الثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه ، وذلك مثل : ما ذكروه في قصص الأنبياء ، من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، فهذا لا تجوز روايته وذكره إلا مقترنا ببيان كذبه ، وأنه مما حرفوه ، وبدلوه.

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا ، ولا من ذاك فلا نؤمن به ، ولا نكذبه لاحتمال أن يكون حقا فنكذبه، أو باطلا فنصدقه، ويجوز حكايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم [١]

والعلامة الدمنهوري . رحمه الله . تجنب ذكر هذه الأخبار قد استطاعته اللهم إلا في موضع واحد في تفسيره لسورة التين حين قال: روى أن آدم عليه السلام لما نزل من الجنة كان متزراً بورق التين فطاف الظباء حوله فاستأنس بها فأطعمها بعض ورق التين ، فرزقها الله الجمال صورة والملاحة معنى وغير دمها مسكاً ، فلما تفرقت الظباء إلى مساكنها رأى غيرها عليها من الجمال ما أعجبها ، فلما كانت من الغد جاءت الظباء على أثر الأولى إلى آدم فأطعمها من الورق فغير الله حالها إلى الجمال دون المسك ، وذلك لأن الأولى جاءت لآدم لا لأجل الطمع ، والطائفة الأخرى جاءت للطمع سراً وإلى آدم ظاهرة ، فلا جرم غير الظاهر دون الباطن. انتهى.

ورغم رواية الشيخ لهذه الرواية دون تعقيب منه إلا أنه نبه على ضعفها بتصديرها بصيغة (روي) التي تفيد التضعيف كما هو مقرر.

تواضعه مع العلماء

التواضع من الصفات التي لابد وأن يتخلق بها أهل العلم وخاصة فيما بينهم ، فالتواضع نعمة ربانية وهبة إلهية تجلب كل خير لصاحبها ، والكبر آفة مهلكة لصاحبها تمنع عنه الخير، وقانا الله الكبر وأهله.

وشيخنا العلامة الدمنهوري . رحمه الله . تخلق بهذه الصفة . صفة التواضع . مع العلماء العاملين والأولياء الربانيين ، فنراه يقول عن الإمام الرازي . رحمه الله .

(١) ينظر في ذلك: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد أبو شهبة ص:٩٢ ، وما بعدها.

وهو يتحدث عن قضية إيمان المقلد[1] : وفي الاحتجاج في نظر الحقير . يقصد نفسه . نظر ظاهر ، وإن أقره المذكور . يقصد الرازي . وهو اللوذعي الماهر ، ودين الله تعالى المراد به هنا الإسلام. انتهى. ونراه قبل ذلك يصف العلامة الرازي بفخر الإسلام.

وهذا أدب عظيم ينبغي أن يلتزم به طلبة العلم مع العلماء وخاصة في هذا الزمن الذي تطاول فيه الأصاغر على الأكابر ، وإلى الله المشتكى.

مصادره:

اعتمد الشيخ . رحمه الله . على عدة مصادر في التفسير وغيره في كتابه ونراه يصرح بأكثرها كل في موضعه بأمانة علمية راقية ، وأشهر مصادره وأكثرها هو تفسير العلامة فخر الدين الرازي المعروف بالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، وقد اعتمد الشيخ على هذا السفر المبارك أكثر من غيره ، ولعل السر في ذلك . والله أعلم . أن الإمام الدمنهوري تأثر كثيرا بشخصية الفخر الرازي ، فتفسيره يعد دائرة معارف إسلامية لم يسبق إليه ، لما تمتع به من شخصية فتح الله لها من بحار

---

(١) إيمان المقلد في نظر المتكلمين من قلد غيره في أمور الاعتقاد دون نظر و استدلال وفق الدليل العقلي ، و هذه المسألة من المسائل المهمة التي طال حولها الجدل بين السلف و المتكلمين ، و لها آثار خطيرة في الحكم على إيمان كثير من عوام هذه الأمة، و الخلاف في هذه المسألة كان نتيجة لإيجاب المتكلمين النظر و الاستدلال على كل مكلف ، ثم كثر الخلاف بينهم في حكم من آمن بوجود الله و لم ينظر و يستدل ، و اختلفوا كذلك في ماهية هذا الدليل ؛ هل لابد أن يكون عقلياً أم أن الدليل النقلي يعمل عمل الدليل العقلي ؟ و هل يشترط للمستدل أن يكون قادراً على دفع الشبهات التي تعترضه ، أم أن ذلك ليس شرطاً إذا لم يخالط الريب إيمانه؟ ، وقد عقد الإمام السفاريني فصلاً في ذكر الخلاف في صحة إيمان المقلد في العقائد وعدمها وفي جوازه وعدمه شارحا قوله في منظومته:

وكل ما يطلب فيه الجزم *** فمنع تقليد بذاك حتم
لأنه لا يكتفى بالظن *** لذي الحجى في قول أهل الفن
وقيل يكفي الجزم إجماعا بما *** يطلب فيه عند بعض العلما
فالجازمون من عوام البشر *** فمسلمون عند أهل الأثر

ينظر: العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية) لشمس الدين، أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ) مكتبة أضواء السلف – الرياض الأولى، ١٩٩٨.

علمه فكان حجة عصره في التفسير والفلك والفلسفة وغير ذلك من العلوم والمعارف، وشيخنا الدمنهوري . رحمه الله . كان أيضا دائرة معارف إسلامية في عصره وتراثه العلمي ونتاجه الفكري خير دليل على هذا.

فهرس المراجع والمصادر

أولا: كتب التفسير وعلوم القرآن

١- الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي ، ت محمد أبو الفضل إبراهيم دار التراث القاهرة ، لاط، لات

٢- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، الأولي ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

٣- أحكام القرآن لابن العربي ، ت علي محمد البجاوي ، ط دار الجبل بيروت ، لاط ، لات .

٤- إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم ، للإمام أبي السعود ، ط دار إحياء التراث العربي ، الثانية ١٤١١هـ/١٩٩١م .

٥- أسباب النزول للإمام الواحدي ، ت أيمن صالح شعبان ، ط دار الحديث القاهرة ، الرابعة ، ١٤١٩هـ/٢٠٠٢م .

٦- أسباب النزول للإمام السيوطي ، ت حامد أحمد الطاهر ، ط دار الفجر للتراث ، القاهرة الأولي ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

٧- الاستيعاب في بيان الأسباب لسليم علي الهلالي ، و محمد موسى آل نصر ط دار ابن الجوزي ، الدمام ، الثانية ١٤٣٠هـ.

٨- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعبكري ، ت إبراهيم عطوه عوض ، ط دار الحديث، القاهرة. لا ط ، لا ت

٩- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ط دار الفكر بيروت ، لا ط ، لا ت.

١٠- البحر المحيط للأبي حيان محمد بن يوسف ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت، الأولى ت عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، الأولى١٤٢٢هـ ،

.٢٠٠١.

١١- البرهان في علوم القرآن للزركشي محمد بن بهادر بن عبد الله ، ط دار المعرفة بيروت ، ت محمد أبو الفضل إبراهيم ١٣٩١هـ.

١٢- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح القاضي ، ط دار الكتاب العربي ، لا ط لا ت.

١٣- التحرير والتنوير للإمام محمد الفاضل بن عاشور ، ط مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، لاط ، لات

١٤- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ، ت السيد محمد السيد وآخرين ، ط دار الحديث ، القاهرة ، الأولي ١٤٢٧هـ/٢٠٠٢م .

١٥- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين للإمام ابن حاتم ت أسعد محمد الطيب ، ط المكتبة العصرية ، بيروت ، الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

١٦- تفسير مقاتل بن سليمان ت أحمد فريد ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣.

١٧- التفسير والمفسرون للدكتور/ محمد حسين الذهبي ، ط مكتبة وهبة ، القاهرة، السابعة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

١٨- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري ، ت أحمد محمد شاكر، ط مؤسسة الرسالة ، الأولى ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠

الجامع لأحكام القران للإمام أبي عبد الله القرطبي ، ت د/ محمد إبراهيم الحفناوي ، محمود حامد عثمان ، ط دار الحديث ، القاهرة ، الأولي١٤١٤هـ/١٩٩٤م

١٩- الحجة في القراءات السبع للأبي عبد الله بن خالويه ، ت أحمد فريد ، ط دار الكتب العلمية بيروت الأولي ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م /

٢٠- الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ، ت بدر الدين قهوجي ، وبشير

جو يجاني ، ط دار المأمون للتراث بيروت ، الأولي ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
٢١- حجة القراءات لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، ط مؤسسة الرسالة بيروت ، الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢.
٢٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي دار الفكر بيروت الأولي ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
٢٣- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، ت الدكتور أحمد السيد فرحات ، ط دار عمار الأردن ، الثانية١٩٩٦م.
٢٤- روح المعاني في تفسير القران العظيم والبيع المثاني لشهاب الدين الألوسي ط المكتبة التوفيقية – القاهرة – لاط ، لات .
٢٥- زاد المسير في عالم التفسير للإمام أبي الفرج بين الجوزي ط المكتب الإسلامي ، بيروت ، الثالثة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
٢٦- السبعة في القراءات لابن مجاهد ت د/شوقي ضيف ط دار المعارف الثالثة لات
٢٧- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لمحمد بن أحمد الشربيني ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، لا ط لا ت.
٢٨- غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري ، ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ت زكريا عميران ١٤١٦هـ/١٩٩٦.
٢٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني ، ط دار الفكر بيروت لا ط لا ت.
٣٠- الكافي في القراءات السبع لمحمد بن شريح الرعيني ، ت أحمد محمود عبد السميع ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤١٠هـ، ٢٠٠٠.

٣١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ، ط دار إحياء التراث العربي ، ت عبد الرزاق المهدي ، الثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
٣٢- الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ، ط مؤسسة الرسالة بيروت ، ت محي الدين رمضان ، الأولى١٤٠٤ هـ /١٩٨٤.
٣٣- الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد إبراهيم الثعلبي ، ت أبو محمد بن عاشور، ط دار إحياء التراث العربي بيروت ، الأولى ١٤٢٢/٢٠٠٢.
٣٤- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، ط دار الفكر بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩، لا ط لا ت.
٣٥- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن عادل الدمشقي الحنبلي ، ت عادل أحمد عبد الموجود ، ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨.
٣٦- لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي ، ط دار إحياء العلوم بيروت ، لا ط ، لات.
٣٧- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن حيي ، ت عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، الأولي ١٤١٩هـ/١٩٨١م .
٣٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ، ت عبد السلام عبد الشافي محمد ط دار الكتب العلمية بيروت ، الأولي ١٩١٣هـ/١٩٩٣م .
٣٩- مختصر شواذ القراءات لابن خالويه ط مكتبة المتنبي القاهرة لاط ، لات
٤٠- مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي ، ت مروان محمد الشعار ، ط دار النفائس بيروت ، الأولى ٢٠٠٥. لاط ، لات .
٤١- معالم التنزيل للإمام البغوي ، ت محمد عبد الله النمر وآخرين ، ط دار

طيبة بيروت الرابعة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
٤٢- مفاتيح الغيب للإمام الرازي ط دار إحياء التراث العربي بيروت ، لاط ، لات .
٤٣- المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله ﷻ لأبي عمرو الداني ، ت يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، ط مؤسسة الرسالة بيروت ، الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧.
٤٤- النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد ، ط دار اليسر القاهرة ، الثانية ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧.
٤٥- النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، ط دار الكتب العلمية لاط لات.
٤٦- النكت والعيون ، للإمام الماوردي ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، لاط لات

ثانيا: كتب الحديث الشريف وعلومه

٤٧- الترغيب والترهيب لزكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذري ط دار الحديث ، لا ط لا ت.
٤٨- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، ط دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٩هـ .١٩٨٩م.
٤٩- سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ، ط دار الريان للتراث لا ط ، لا ت ٠
٥٠- سنن أبو داود لأبي داود سليمان بن شعث السجستانى الأزدى ط دار الفكر لا ط ، لا ت
٥١- سنن البيهقي الكبرى لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، ت محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ،

١٤١٤ – ١٩٩٤ ، لا ط.

٥٢- سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ط دار الفكر ١٤٠٨هـ ، لا ط.

٥٣- سنن الدارمى لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمى السمرقندي ط دار الريان للتراث ١٤٠٧ هـ الأولى .

٥٤- سنن النسائي لأحمد بن شعيب النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندى ط دار الكتاب العربى بيروت ، لا ط ، لا ت.

٥٥- السنن الكبرى للبيهقى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقى ط دار الفكر لا ط ، لا ت.

٥٦- صحيح ابن خزيمة لمحمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري ، ت محمد مصطفى الأعظمي ، ط المكتب الإسلامي – بيروت ، ١٣٩٠ – ١٩٧٠، لا ط.

٥٧- شرح السنة للإمام البغوي ، ت شعيب الأرناءوط – محمد زهير الشاويش ، ط المكتب الإسلامي دمشق بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م الثانية.

٥٨- شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي / ت محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط دار الكتب العلمية – بيروت الأولى ، ١٤١٠

٥٩- صحيح مسلم بشرح النووي للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى دار إحياء التراث العربى ط ٣ لا ت.

٦٠- فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ط دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ

٦١- فيض القدير شرح الجامع الصغير للحافظ عبد الرؤوف المناوى ط دار

الفكر ١٣٩١ هـ.
٦٢- الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر العسقلانى بذيل الكشاف
٦٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى ط دار الكتاب العربى بيروت ١٤٠٢ هـ، لا ط.
٦٤- المستدرك على الصحيحين للإمام أبى عبد الله الحاكم النيسابورى وفى ذيله تلخيص المستدرك للإمام شمس الدين الذهبى ت ٨٤٨ هـ .
٦٥- المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، ت كمال يوسف الحوت ، ط مكتبة الرشد ، الرياض ، الأولى ، ١٤٠٩
٦٦- المعجم الأوسط للطبرانى تحقيق محمود شاكر ط مكتبة المعارف بالرياض ١٤١٥ هـ، لا ط ، لا ت.
٦٧- المعجم الصغير للطبرانى ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ ، لا ط ، لا ت.
٦٨- المعجم الكبير للطبرانى ط دار البيان العربى بيروت ، الثانية لا ت.

ثالثا: كتب التراجم والسير والتاريخ

٦٩- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر ، ت علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، الأولي١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
٧٠- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، ط دار الفكر العربي ، بيروت ١٩٩٣م/١٤١٤هـ/لاط .
٧١- الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني ت علي محمد

البجاوي ، ط دار الجيل بيروت ، الأولى ١٤١٢هـ.

٧٢- إنباه الرواة علي أنباه النحاة ، لعلي بن يوسف القفطي ، ت محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار الفكر العربي ، القاهرة ، الأولي ١٩٨٦م .

٧٣- البداية والنهاية لابن كثير ت أحمد ملحم وآخرين ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، الثالثة ١٤٠٧هـ .

٧٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ط دار الفكر العربي ، بيروت ، الثانية ١٩٧٩م .

٧٥- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي ، ت عمر عبد السلام تدمري ، ط دار الكتاب العربي بيروت ، الثالثة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢.

٧٦- تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، الأولى ١٤٠٧هـ.

٧٧- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، ط دار الفكر بيروت ، الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤.

٧٨- تهذيب الكمال للحافظ المزي ، ت بشار عواد معروف ، ط مؤسسة الرسالة بيروت ، الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠.

٧٩- سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ، ت شعيب الأرنئوط ، ط مؤسسة الرسالة بيروت ، الحادية عشر ١٤١٢هـ.

٨٠- شذرات الذهب في أجنار من ذهب لابن العماد الحنبلي ، ط دار الفكر بيروت لاط ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

٨١- الضعفاء للإمام أبي جعفر العقيلي ، ت حمدي عبد المجيد إسماعيل ،ط دار الصميعي ، الأولي ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

٨٢- طبقات الشافعية الكبرى لأبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي ، ت محمود محمد الطناحي ، وعبد الفتاح الحلو ، ط دار هجر القاهرة ،

الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٢.

٨٣- طبقات المفسرين لشمس الدين الداودي ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، الأولي ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

٨٤- طبقات المفسرين لجلال الدين السيوطي ت علي محمد عمر ، ط مكتبة وهبة القاهرة ، الأولى ١٣٩٦هـ.

٨٥- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، الثالثة ١٩٨٢م

٨٦- وفات الوفيات للكتبي ، ت أحسان عباس ، ط دار أصادر بيروت لاط،لات

٨٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ، ط مكتبة المتنبي بغداد ، لاط ، لات .

٨٨- معجم الأدباء لياقوت الحموي ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، الأولي ١٤١١هـ/١٩٩١م

٨٩- معجم البلدان لياقوت الحموي ، ط دار صادر بيروت ، لاط ، لات .

٩٠- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت لا ط .

٩١- معرفة القراء الكبار ، لشمس الدين الذهبي ، ت بشار عواد ، ط مؤسسة الرسالة ، القاهرة ١٩٨٨م لاط .

٩٢- الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي ، نشر فرانز شناينز ، الاولي ١٩٨١م .

٩٣- وفيات الأعيان وأنباه أبناء الزمان لابن خلكان ت إحسان عباس ، ط دار صادر بيروت لاط ، لات .

رابعا: كتب اللغة والمعاجم

٩٤- إعراب القرآن وبيانه و للشيخ محي الدين الدرويش ، ط دار ابن كثير ، دمشق ، الثالثة ١٤٢٠هـ .

٩٥- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ، ط عالم الكتب بيروت ، ت زهير غازي ، الثالثة ١٤١٢هـ/١٩٩٨م .

٩٦- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعبكري ، ت إبراهيم عطوه عوض ط دار الحديث ، القاهرة ، لاط ، لات

٩٧- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ، ت عبد الستار أحمد فرج ، ط حكومة الكويت ١٩٦٥م .

٩٨- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، ط دار إحياء التراث العربي ، الولي ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

٩٩- التبيان في إعراب القرآن للعبكري ، ت محمد علي البيجاوي ، ط مكتبة ابن تيمية ، القاهرة لاط ، لات .

١٠٠- التعريفات للشريف الجرجاني ، ط مكتبة لبنان ، لاط ، ١٩٨٥م .

١٠١- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ، ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، القاهرة لاط ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

١٠٢- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادي ط المكتبة التجارية الكبرى الخامسة ، لا ط ٠

١٠٣- لسان العرب ، لجمال الدين بن منظور ٠ ط دار المعارف بدون تاريخ

١٠٤- مجاز القرآن لأبي عبيدة ، ط مكتبة الخانجي القاهرة ، لاط ، لات ،

١٠٥- مختار الصحاح للرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ط مكتبة لبنان.

١٠٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للعلامة أحمد بن محمد بن

على المقري الفيومي ت ٧٧٠ هـ ، ط المكتبة العلمية بيروت .
١٠٧- معاني القرآن للزجاج للدكتور/ عبد الجليل شلبي ط دار الحديث القاهرة ، الأولي ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
١٠٨- معاني القرآن للفراء ، ط دار الكتب العربية ، القاهرة ، ت أحمد يوسف نجاح ، محمد علي النجار الثالثة ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .
١٠٩- المعجم الوسيط إعداد مجمع اللغة العربية القاهرة ، الثالثة ، لات .
١١٠- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني : للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، ط مكتبة الأنجلو مصر
١١١- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، ت طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، ط دار إحياء الكتب العربية ، لات ، لاط .